

صورة هليل وشماي في الأدب التلمودي بين المرونة والتطرف

محمد عثمان القرعة*

ملخص

لم يخلُ الأدب التلمودي من ذكر لكل من هليل وشماي على أنهما من أهم الشخصيات التي عاشت في فترة ما قبل خراب ما يسمى البيت الثاني عام 70 ميلادي، حيث شكلا أول مذهبين دينيين للطائفة الفريسية، فوصف رابايو التلمود الأول بالمتساهل، ووصفوا الثاني بالمتشدد. تحاول هذه الدراسة معاينة أسباب هذه الأوصاف، وذلك بتحليل شخصية كل منهما، ومقارنة منهجهما، من خلال النصوص التي وصلتنا من تلك الفترة.

الكلمات الدالة: هليل، شماي، مذهب هليل، مذهب شماي، الفريسيون.

المقدمة

تمهيد:

لقد عرف اليهود المذاهب الدينية منذ زمن بعيد؛ إذ يذكر الأدب الرياني أن في فلسطين وحدها كان هناك مذهبان مختلفان، وكان لكل مذهب تصورات وأحكامه التي اختلفت عن المذهب الآخر المناظر له في تفسير آيات التوراة، أو النظر في فتاوى الأمور المعاصرة المستجدة في ذلك الحين، التي لم تذكر في كتب العهد القديم؛ ويذكر الأدب الرياني في مجمله أيضا أن أحد هذه المذاهب كان أكثر مرونة وتسامحا من المذهب الآخر الذي وصف بالتشدد والتطرف.

تشكلت هذه المذاهب الدينية بداية في فترة دعاها المؤرخون بفترة الأزواج (=70-135)، وهي الفترة التي سبقت فترة التنايين بسنين معدودة، والتي انتهت قبيل خراب بيت المقدس عام سبعين للميلاد¹. ومن أشهر رجال فترة الأزواج: هليل؛ وشماي. وهما مؤسسا هذين المذهبين المختلفين في الإفتاء والتفسير، وكانا نادرا ما يتفقان على قضية من القضايا. وتعتبر فترة هليل وشماي من أهم فترات الديانة اليهودية، إذ تمّ فيهما وضع وتحديد المناهج الدينية، وكذلك تأسيس أول مدرستين مذهبيتين، فسميت الأولى بمذهب بيت هليل (=בית הלל)، والثانية بمذهب بيت شماي (=בית שמאי)، نسبة إلى مؤسس كل مذهب². وبوفاة هليل وشماي وضع حد لهذه الفترة، لتبدأ من بعدها فترة الريانيين التنايين، علما أن فترة الأزواج لم ينسب

لها أي نشاط أدبي مدون يذكر، وأن كل ما وصلنا عن هذه الفترة هو ما ورد في مصادر الريانيين، مثل المشناة والتلمودين والمدراش وغيرهما، عن طريق روايات وأخبار وذكر فتاوى وأحكام هذين المذهبين؛ ولم يخل مصدر من مصادر الريانيين من ذكر هذين المذهبين، ورأي كل مذهب في القضية المختلف فيها، إلا أن الريانيين في سياق حديثهم عن هذين المذهبين نقلوا لنا صورتين مختلفتين: الأولى لمذهب هليل الموصوف بالتساهل والتسامح والمرونة، والثانية لمذهب شماي الموصوف بالتشدد والصرامة.

يقوم جهد هذه الدراسة على تعريف القارئ بمؤسسي هذين المذهبين، عن طريق ما ذكر من نصوص عن مؤسس كل منهما، إذ يعرض لهذا الجانب بصورة علمية محايدة دون قصد إلى تلميع صورة هذين المؤسسين أو تفضيل أحدهما على الآخر. ولعل من أهم القضايا، التي ستحاول هذه الدراسة مناقشتها، هي الإجابة عن التساؤل الآتي، وهو: هل كانت صورة كل من المذهبين صورة حقيقية أم أن الريانيين حاولوا طمس مذهب على حساب مذهب آخر؟

إن أهم مؤلف ديني يعود إلى تلك الفترة هو المشناة، التي تعد مدونا دينيا مليئا بالنصوص والقوانين الدينية، ولما كانت المشناة كتاب قانون اختص بأمور الإباحة والتحرير، فإنها لم تقصص كثيرا عن حياة كل من هليل وشماي، بقدر ما أوردت بعض العلاقات بين المذهبين، على عكس المدونات الأخرى التي رأى فيها الريانيون مكانا مناسباً وخصبا للحديث والنقاش وإبداء الآراء في كل مذهب من هذين المذهبين. ولا بد في البداية من أن نتعرف على هاتين الشخصيتين المتناقضتين؛ إذ

* قسم اللغات السامية والشرقية، جامعة اليرموك، الأردن. تاريخ استلام البحث 2016/03/02، وتاريخ قبوله 2016/08/02.

אתא רב דימי אמר הלל ושכנא אחי הוו הלל עסק בתורה שכנא עבד עיסקא (=עندما جاء الرايبي ديمي قال: هليل وشכנא هما أخوان، فعمل هليل في التوراة، وعمل שכנא في التجارة) (ب سوطا 21أ).

من ناحية أخرى، حاول الريانيون أن يبحثوا في نسبه وأصله فاختلّفوا في أمره، فمنهم من قال إن أمه من يهوذا وأباه من بابل (ي كيليم 9:3 وبريشيت ريا 33:3)، ولعل هذا الخلاف يتضح أكثر في المدرّاش إذ جمعت آراء الريانيين في نص مدرّاشي، جاء فيه: نمנו ואמרנו הלל משל מי، אמר רבי לוי מגלת יוחסים מצאו בירושלים וכתוב בה הלל מדוד، ר' חייא רבה מן דשפטיה בן אביטל، דבית כלבא שבוע מדכלב، דבית ציצית הכסת מן דאבנר، דבית כובשין מן דאחאב، דבית יצאה מן דאסף، דבית יהוא מן ציפורן، דבית ינאי מן דעלי، רבי יוסי בר חלפתא מן דיונדב בן רכב، רבי נחמיה מדנחמיה התרשתא (=اجتمعوا وسألوا: لمن ينسب هليل؟ فقال الرايبي ليفي: وجدت لفافة أنساب في القدس وكتب فيها: إن هليل من داود. وقال الرا. حيا الكبير: إن هليل من شفتيا ابن أبيطال⁵، والذي منه نسل عائلة كلב سابوع⁶ من كالب⁷، ومنه نسل عائلة صيصيت هكيس⁸ من أبينير⁹، ومنه نسل عائلة كوفاشين من أخاب¹⁰، ومنه نسل عائلة يتصناه من أساف¹¹، ومنه نسل عائلة يهو من صفوريا، ومنه نسل عائلة يנאי من علي. وقال الرايبي يوسي بار حلفتا: إنه من يهوناداب بن ركاب¹². وقال الرايبي نحميا: إنه من نحميا الترشثا¹³) (بريشيت ريا 98:8).

تداول الريانيون سبب منحه لقب رئيس إسرائيل، وأجمعوا أن سبب منحه هذا اللقب، هو علمه وفطنته الحادة في الشريعة، وسرعة بديهته؛ غير أن الروايات قد تعددت وتضاربت في مسألة منحه هذا اللقب؛ إذ يروي الريانيون في ذلك قصتين: الأولى، أن بني بتيरा، وهم قادة اليهود في زمنه، لم يستطيعوا البت في أمر ديني معين، وهو أنه في إحدى المرات صادف يوم الرابع عشر من شهر نيسان، وهو يوم عيد الفصح، يوم سبت، فنسي بنو بتيira، ولم يعرفوا إن كان تقديم قربان الفصح واجبا حتى في يوم السبت، فكان عليهم أن يسألوا من هو أعلم منهم في شريعة موسى، ليقدم لهم فتوى شرعية (هلاخاة) بهذا الأمر، فقبل لهم: "إن هناك شخصا قد صعد من بابل واسمه هليل البابلي، ويخدم اثنين من كبار هذا العصر: شمعي وأبطاليون، وهو على دراية وعلم إن كان [قربان] الفصح واجبا حتى في يوم السبت أم لا". فما كان من بني بتيira إلا أن أرسلوا إليه، وعندما حضر هليل، قالوا له: "هل لك علم إن كان [قربان] الفصح واجبا حتى في يوم السبت؟" فأجابهم سائلا:

إن منهج هليل، في أغلب الأحيان، انعكس على أتباعه في آرائه وأحكامه، ومنهج شماي انعكس أيضا على أتباعه ومناصريه، لذلك ترى هذه الدراسة أنه من المناسب أن تبدأ أولا بالتعرف على مؤسسي هذين المذهبين، اللذين ورد عنهما شيء كثير في التلمود والمدرّاش وغيرهما من مؤلفات أخرى دونت في تلك الفترة، ومن ثم يتم التعرف على كل مذهب من هذين المذهبين، علما أن هذين الاسمين هليل وشماي غالبا ما يذكران معا في المصادر.

הלל - هليل

ورد اسمه بصورة הלל (م شفييعيت 10:3)، كما ورد أيضا بشكل הלל (ي يياموت 15:3)، وهو من الطائفة الفريسية (Buxbaum 2008: 46). ولم تذكر مصادر الريانيين سنة ولادته، إلا أن من الريانيين من حدد فترة حياته بمائة عام قبل خراب بيت المقدس الثاني (ب شبت 15أ)³، أي منذ عام سبعين قبل الميلاد إلى غرة القرن الأول الميلادي في العام العاشر الميلادي تقريبا⁴، وهي فترة حكم الملك هيرودس (73ق.م - 3م) (Bacher 1939: 397). تلقى هليل تعليمه من شمعي (=שמעיה)، وأبطاليون (=אבטליון)، وهما الزوجان اللذان سبقا الزوجين الأخيرين: هليل وشماي (ب يوما 35ب). وعرف ب הלל הבבלי (=هليل البابلي) (ب بساحيم 66أ وسوكا 2أ)، نسبة إلى مكان ولادته بابل. ولم ترد معلومات عن طفولته هناك. وهاجر إلى فلسطين عندما كان يناهز الأربعين عاما (سفري دفاريم 357:7). ولمكانته الجليلة والرفيعة عند اليهود لقب بأجل الألقاب وأعلاها وأرفعها، إذ لقب ب הזקן (=الشيوخ) (م عراخين 9:4)، ولقب أيضا ب נשיא ישראל (=رئيس إسرائيل) (ب شبت 31أ)، ولعل هذين اللقبين كانا أجل وأعلى لقبين من ناحية روحية وقيادية وسياسية وهما لقبان يُمنحان إلى شيوخ السنهدين وحكمائه في ذلك الحين (م حجيجا 2:2).

جرت العادة في المشناة عندما تذكر تسلسل تواتر الشريعة الشفوية من بعد رجال الكنيسة الكبرى إلى فترة الأزواج، أن تذكر اسم الشخص ناقل الشريعة الشفوية، واسم المدينة التي جاء منها، مثل يوسي بن يوعزر رجل صريدا (=יְוֶסִי בֶן יְעֹזֶר אֶשְׁדּוֹד)، عدا الزوجين الأخيرين وهما شمعي وأبطاليون، وهليل وشماي، ولهذا كان يرد اسم هليل مجردا من ذكر اسم والده أو نسبه في جميع المصادر، كما جرت العادة في ذكر أسماء الريانيين والحكماء الذين جاؤوا من بعده، والذين ذكروا باسم آبائهم مثل: يوحنا بن زكاي (=יוחנן בן זכאי)، فلا يُعرف عن الزوجين الأخيرين، شمعي وأبطاليون، وهليل وشماي، في مصادر الريانيين شيء عن نسبهم، سوى بعض الإشارات التي نجدها هنا وهناك، فالتلمود يخبرنا مثلا: דמי

عمل هليل بمهنة الخطابة كما يذكر الراي موسى بن ميمون¹⁸، وكان فقيرا جدا، شأنه في ذلك شأن كبار حكماء اليهود¹⁹، ويسطر الرابانيون قصصا حول اجتهاده ومثابرته وإصراره في تعلم التوراة رغم فقره المدقع، إذ يذكر التلمود، أن الرابانيين قد علّموا: إن وقف فقير وغني وشرير أمام الرب في يوم الحساب، فسيسأل الفقير لماذا لم تشغل نفسك في تعلم التوراة؟ فإن أجاب معللا انشغاله عنها بأنه فقير وكان منهما في تأمين قوته، قيل له: כלום לאני היית יותר מהלל؟ (=أكنت أكثر فقرا من هليل؟). ويحاول الرابانيون ربط هذا بما حصل لهليل في أحد أيام الجمعة: "إذ قيل عن هليل: إنه في كل يوم يعمل به كان يؤجر طريقا واحدا (نصف دينار)²⁰، فيهب نصفه لشماس بيت المدراش، ويققات وعائلته بالنصف الآخر، وذات مرة لم يجد هليل عملا، فلم يسمح له شماس بيت المدراش بالدخول، فتسلق السطح وجلس في إحدى نوافذ سقف بيت المدراش، حتى يسمع كلام الرب من فم شمعي وأبطالين. ويكمل رابانيو التلمود واصفين ذلك اليوم وأحداثه: "كان يوم جمعة من شهر طيبيت²¹، وأتلّجت عليه السماء، ومع بزوغ الفجر، قال شمعي لأبطالين: يا أخي أبطالين، في كل يوم تكون هذه الغرفة أكثر إنارة، أما اليوم فهي مظلمة، فهل تلبدت اليوم السماء بالغيوم؟ فنظرا إلى نافذة الغرفة، فإذا بجسم أحد الأشخاص ملقى عليها، فصعدا أعلاها، فوجدا الثلج على هليل بارتفاع ثلاثة أذرع، فأدخلاه وغسلاه ونشفاه وأجلساه أمام نار المدفأة وقالوا: لأجل شخص كهذا يستحق أن يدنس يوم السبت" (ب يوما 35ب).

ولعل في هذا المثال حكمة أراد الرابانيون أن يعلموها لليهود العامة، وهي: أن الفقر ليس سببا للتقاعس عن تعلم التوراة وأحكامها، وأصبحت هذه القصة مثلا يجري على ألسنتهم يضرب لكل فقير يحتج بفقره ويتقاعسه عن تعلمها، إذ ورد على ألسنتهم: הלל מהייב את העניים (=ألزم هليل الفقراء بالتعلم) (ب يوما 35ب)، كما أن لهذه القصة دلالة أخرى وهي أن مكانة هليل وما فعله في إصراره على التعلم، قد أعجبا شمعي وأبطالين وأبهرهما، وأجبراهما على اقتراف جريمة وهي تدنيس يوم السبت في بذل الجهد والعمل في تغسيه وإشعال نار المدفأة يوم السبت، إذ يعد هذا جرما بحق السبت، ويُطبق على مقترفه حكم القانون الجنائي (=דיני נפשות²²).

إن تقدير الرابانيين لهليل وحبه له، جعلهم يسطرون حوله الأساطير، إذ ساووه بموسى عليه السلام، فقد ورد في التوراة أن موسى عندما وافته المنية كان قد بلغ من العمر مئة وعشرين سنة (انظر: التثنية 34: 7)، ويروي الرابانيون أن هناك ستة أشخاص تساوت سنوات حياتهم بأشخاص آخرين،

"هل عندنا قربان واحد واجب يوم السبت في السنة؟ أليس لدينا ما يزيد على مائتي قربان في السنة¹⁴، وهي واجبة أيضا يوم السبت؟" فقالوا له: "ومن أين تعرف هذا؟" فأجابهم: في [قربان] الفصح ذكر وقت تقريبه، إذ ورد: (أوص بني إسرائيل وقل لهم قرباني طعامي مع وقائدي رائحة سروري تحرصون أن تقربوه لي في وقته) (العدد 28: 2)، وذكر وقت تقريب [قربان] المحرقة الدائم¹⁵، وبما أن وقت تقريب قربان المحرقة الدائم قد ذكر، والذي هو واجب في يوم السبت¹⁶، ف[قربان] الفصح واجب وإن كان يوم سبت أيضا، وفوق هذا كله، فإنه يمكن أن نستنتج إن كان إغفال [قربان] المحرقة الدائم لا يُقدّم على أنه قربان لمحو الخطيئة وتقريبه في السبت واجب، ف[قربان] الفصح هو قربان خطيئة إن لم يقدم في وقته (انظر: العدد 9: 13)، وتقريبه في يوم السبت واجب. فانبهر بنو بئيرا لعلم هليل وفطنته، ونصبوه رئيسا عليهم (=ומינוהו נשיא עליהם). لكن هليل عزا جهلهم في أحكام الشريعة إلى تقاعسهم عن تعلمها، إذ قال لهم موبخا: "كيف أصعد من بابل وأصبح عليكم رئيسا؟ إن سبب هذا هو تقاعسكم، لأنكم لم تخدموا أعظم رجال عصرنا وهما شمعي وأبطالين" (ب بساحيم 66أ).

لعل ما ورد من أحداث في هذه القصة يؤكد حقيقة، وفقا لوجهة نظر الرابانيين، مفادها أن بني بئيرا كانوا على سدة الحكم في فلسطين في زمن هليل، ويؤكد Bacher (Bacher 1939: 397) أن هليل، بعد وقوع هذه الحادثة، أصبح ذا مكانة مرموقة عند الفريسيين. لكن أحداث هذه القصة وإحكام بني بئيرا فيها تظل محل شك، إذ لم تذكر المشناة قط اسما واحدا من أسماء بني بئيرا في تسلسل تواتر الشريعة (انظر: آقوت 1)، ويعلل Bacher (Bacher 1992: 537) هذا بقوله: ربما تسلم بنو بئيرا السلطة الدينية لفترة محدودة لا تكاد تذكر. إلا أن مثل هذا الرأي يمكن رده لسبب، وهو أن السنهدين كان يترأسه في أغلب الأحيان غير الفريسيين وبني بئيرا، مثل شمعي وأبطالين، اللذين كانا من الأغيار، واللذين تهودا فيما بعد (ب جيطين 57ب)، وإن بني بئيرا لم يتسلموا السلطة في فلسطين قط، ولعل ما يؤكد هذا الرواية الثانية التي ذكرها مدراش الهاالاخا (سفر 1) وهي بأن هليل علم بني بئيرا سبعة أحكام¹⁷ دون ذكر أنهم تنازلوا له عن السلطة. إلا أن ما أراده رابانيو التلمود من ذكر القصة الأولى، هو تأكيد سعة صدر بني بئيرا في عدم تشبّثهم بالسلطة، وسرعة تنازلهم عنها، وإبراز جهلهم في التوراة، وعدم قدرتهم في استخراج واستنباط الأحكام منها والحكم على أساسها للناس، هذا من جانب، ومن جانب آخر أراد الرابانيون أن يظهروا فطنة وحكمة هليل في استخراج الأحكام واستنباط الحكم وتوظيفه بما يستجد من أمور.

وهم رفقة²³، وقها²⁴، ولاوي²⁵، وعمرام²⁶، ويوسف²⁷، ويشوع²⁸، وصموئيل²⁹، وسليمان³⁰، وموسى³¹، وهليل، والريان يوحنا بن زكاي³²، والربي عقيبا³³ (سفري دفاريم 157)، ومن الملاحظ في هذا المثال، أن نرى إقحام اسم هليل والريان يوحنا بن زكاي والرابي عقيبا بأسماء أنبياء وشخصيات توراتية ذات مكانة رفيعة عندهم، ومن الجدير بالذكر أن الريانيين ساووا سني حياة الشخصيات السابقة بسني حياة موسى عليه السلام، لعظم ما قدمته هذه الشخصيات لليهود واليهودية³⁴، كما نلاحظ أيضا تقسيم حياة كل من هليل والريان يوحنا بن زكاي والرابي عقيبا إلى ثلاث فترات، كل فترة دامت أربعين عاما³⁵، بذكرنا بعدد سني التيه في سيناء، الذي كانت مدته أربعين سنة (Volz 2003: 227) (العدد 32: 13).

ومن جهة أخرى ساوى الريانيون هليل بعزرا الكاتب، الذي أسس لهم توراتهم وختمها، ولعل منزلة هليل عندهم لم تقل شأنًا عن منزلة عزرا، إذ ورد في سفر عزرا **הוא עזרה** **עלה מבבל (=عزرا هذا صعد من بابل) (عزرا 7: 6)**، ونجدها مرة أخرى في التلمود، لكنها ترد فيه عن هليل: **כשנשתכחה תורה מישראל עלה עזרא מבבל ויסדה חזרה ונשתכחה עלה הלל הבבלי ויסדה חזרה (=عندما نسي الإسرائيليون التوراة صعد عزرا من بابل وأسس للتوراة، وعندما نسيت مرة أخرى صعد هليل البابلي وأسس لها) (سوكا 120)**، ولعل هذا المثال يبين شأن هليل ومركزه عند اليهود عامة وعند الريانيين خاصة. اجتمعت في شخصية هليل الحكمة، والبر، والتواضع، والبساطة، فارتقت عند اليهود إلى شخصية مثالية يقتدى بها، كافتدائهم بعزرا، وكان لا مانع لديهم بوصفه أحد تلامذة عزرا، إذ ورد أن الريانيين كانوا مجتمعين في أريحا فسمعوا صوت الرب من السماء يقول: **إن فيكم شخصا يستحق أن يظهر له الوحي الإلهي، إلا أن أبناء عصره لا يستحقونه. فظفروا جميعا إلى الشيخ هليل مقرين باستحقاقه للوحي. وعندما توفي هليل رثوه بالكلمات الموالية: הי חסיד، הי עניו، תלמידו של עזרא (=أسفنا على رجل تقي، أسفنا على رجل متواضع، تلميذ عزرا) (ب سوطا 48ب)**، ويمكن أن نستشف من هذا المثال إشارة إلى مساواة هليل بموسى عليه السلام الذي نزل عليه الوحي الإلهي في سيناء، ونستنبط من الرثاء أن اليهود جعلوا هليل أحد تلامذة عزرا.

مكانته وصفاته:

ورد عن هليل، أنه محب للسلام ساع له، فقد ورد ذلك في مبحث آفوت على شكل حكم ومأثورات، ولعلنا من خلالها يمكننا أن نتعرف عليه أكثر، إذ أكد على طلب العلم، كما

أحب الخلق، واستثمر حبه هذا بتقريبهم للتوراة، مقتديا بهارون عليه السلام وبتلاميذه، فقال: **"كن كتلاميذ هارون، محبا للسلام وساعيا له، محبا للخلق ومرغبهم في التوراة" (آفوت 1: 12)**، وحث هليل الخلق على الاستمرار في تعلم التوراة، بل إنه كان أكثر تشددا مع الذين لا يجتهدون في تعلمها، ومع من يستغل ربه بالأمر الدنيوية، وقال³⁶: **"من طلب بالعلم شهرة خسر مكانته، ومن لم يزد علمه جهل، ومن ترك تعلم التوراة استحق الموت، ومن استغل تاج التوراة³⁷ فلا مكانة له في الكون"**³⁸ (آفوت 1: 13). وأجاب هليل على كل من أشغل نفسه بأمور الدنيا ولم يشغلها بالتوراة محتجا بضيق الوقت، أو أن الدنيا بمشاغلها منعه من تقربه للتوراة، بقوله: **"لا تخرج عن الجماعة، ولا ترك نفسك حتى مماتك، ولا تنتقد صاحبك حتى تصل إلى مكانته، ولا تقل أمرا مبهما، لأنه في نهاية المطاف سيشتاع، ولا تقل: سأتعلم عندما أفرغ، فربما لن تفرغ أبدا"**³⁹ (آفوت 2: 6)، وأضاف هليل للذين يبددون حياتهم دون تعلم التوراة ساعين وراء المال: **"ليس الجاهل بمعصوم من الوقوع في الإثم، وليس الجاهل بحكيم، ومن تزمت لن يُعلم، وليس كل تاجر بحكيم، وكن رجلا إذا قل الرجال" (آفوت 2: 5)**. ولعل القارئ يستشف من حكم ومأثورات هليل أسلوبَي التهريب والترغيب، إذ قال في هذا أيضا: **من كثر لحمه كثر ديدانه⁴⁰، ومن كثر ثروته كثر همه، ومن كثر نساؤه كثر خرافاته، ومن كثر جواريه كثر زناه، ومن كثر عبيده كثر سلبه، لكن من كثر (علمه) في التوراة طالت حياته، ومن كثر دروسه زادت حكمته، ومن كثر موعظته زاد ذكاؤه، ومن كثر عدله كثر سلامه، ومن ادخر السمعة الطيبة ادخرها لنفسه، ومن ادخر كلام التوراة ادخر لنفسه الآخرة (آفوت 2: 7)**.

اشتهر هليل بمهابته يوم الحساب، وبمخافته لقاء ربه، كما آمن هليل بانتقام الرب الواقع لا محالة، وآمن أيضا بمبدأ العين بالعين والمعاملة بالمثل (انظر: التثنية 19: 21)، فيذكر الريانيون في هذا الخصوص، أن هليل كان يبتهج في احتفال رش الماء (=שמחת בית השואבה)⁴¹، ويردد: **"إن كنت أنا هنا فالكل هنا، وإن لم أكن هنا⁴² فمن يكون هنا؟"**، ويقول: **"إلى المكان الذي أحب، تقودني قدامي، إن أتيت بيتي، أتيت بيتك، فإن لم تأت فلن آتي، كما ورد: (في كل الأماكن التي فيها أصنع لاسمي ذكرا آتي إليك وأباركك) (الخرج 20: 24)**، إلى أن رأى جمجمة تطوف على المياه، فقال لها: **أغرؤك لأنك أغرقت غيرك، ونهاية من أغرقتك، الغرق" (را. م آفوت 2: 6) (ب سوكا 153أ)**. وتعبّر هذه المقولة عن إيمانه بانتقام الرب، وإيمانه بالموت، وبالمعاملة بالمثل.

حادثه مؤلمة، فليقل: "حسن أن هذا لم يحدث في بيتي"، واعتاد أن يقول ما ورد: "لا يخشى من خبر سوء قلبه ثابت متكلأ على الرب" (المزامير 112: 7) (ي براخوت 9: 3).

اعتاد هليل على استخدام لغة المفارقة والرمزية، إذ كان يقول شيئاً، لكنه كان يقصد شيئاً آخر أكبر وأعمق مما كان يقول، إذ يذكر المدرش في تفسير فقرة من سفر الأمثال روايتين مختلفتين في هذا الشأن، ففي تفسير الفقرة: "الرجل الرحيم يحسن إلى نفسه والقاسي يكدر لحمه" (الأمثال 11: 17)، قال الربانيون: "إن المقصود بما ورد الرجل الرحيم يحسن إلى نفسه هو الشيخ هليل". ويقص الربانيون قصة حدثت لهليل وتلاميذه، وهي: "كان الشيخ هليل إذا أراد أن يفترق عن تلاميذه مشى معهم، ثم انصرف. فسأله تلاميذه: سيدنا إلى أين أنت ذاهب؟ فأجابهم: لأؤدي فريضة، فسألوه: وأي فريضة يريد هليل أن يؤديها؟ فأجابهم: الغسل في بيت الخلاء، فقالوا له: أهذه فريضة؟ فقال لهم: نعم!" فضرب هليل لتلاميذه المستغربين مثلاً عما قال، قائلاً لهم: "إن الرجل الذي ينظف ويمسح صور الملوك، التي توضع في المسارح والمدرجات، يتلقى أجره فيعيل نفسه، ويعظم شأنه عند الملوك، فكيف نحن الذين خلقنا على صورة الرب؟! إذ ورد: (لأن الله على صورته عمل الإنسان) (التكوين 9: 6)"، وطلب إليهم أن يتفكروا بما قال وبما ورد في سفر التكوين ويقيسوا عليه (فيكرا ربا 34: 3).

وفي المثال الآخر يستخدم الربانيون في تفسير الفقرة التوراتية نفسها الأحداث ذاتها مع بعض التغيير، إذ قالوا: "إن المقصود بما ورد: الرجل الرحيم يحسن إلى نفسه (الأمثال 11: 17)، هو الشيخ هليل. كان الشيخ هليل عندما يريد أن يفترق عن تلاميذه، يمشي معهم ثم ينصرف عنهم. فقال له تلاميذه: سيدنا إلى أين أنت ذاهب؟ فأجابهم: إني ذاهب لأكرم ضيفا. فاستغرب تلاميذه وسألوه: أولك في كل يوم ضيف؟ فأجابهم: نعم! إنها روح الجسد المسكينة، فاليوم هي هنا، وغدا هناك" (فيكرا ربا 34: 3).

ولعله من كلا المثالين يتضح لنا بصورة أكبر إيمان هليل بالله وبالיום الآخر، ففي الأول يؤكد الربانيون أن هليل كان يغتسل كل يوم استعداداً لملاقاة ربه، وفي الثاني يتضح فيه أن هليل كان يؤمن إيماناً صادقاً برحيله عن الدنيا، وأنه سيلقى ربه لا محالة.

سطر الربانيون أجمل القصص عن تواضع هليل، وحلمه وصبره على من أراد أن يغضبه، فيخبرنا رباينو التلمود، أنه في أحد أيام مساء الجمعة، أراد شخصان إغضاب هليل، فتراها على أربعمئة زوز⁴³، تعطى لمن ينجح في إغضابه، فقال

إن هذه الصورة التي أخبرنا بها الربانيون عن هليل ازدادت مدحا ومفخرة به، إذ يروي الربانيون أن هليل كان مستعداً لكتف الحقيقة وإخفائها حفظاً للسلام ودعوا للخلاف مع تلاميذ شمائي، إذ يروى أنه في أحد الأيام أحضر هليل قربان محرقة للمذبح، فتجمع حوله تلاميذ شمائي وسألوه متطفلين: ما جنس هذا القربان؟ فأجابهم: أنثى، أحضرتها إلى هنا لأقربها قربان سلامة، وقام بتحريك ذنبها، فانصرفوا عنه (ب بيتصا 20أ). ويتضح من هذا المثال كيف أن هليل أخفى على تلاميذ شمائي جنس القربان الذي هو في الأصل ذكر، إذ كان هليل يعلم أن قربان المحرقة يجب أن يكون ذكراً، وفقاً لما ورد: "إن كان قربانه محرقة من البقر فذكراً صحيحاً يقربه..." (اللاوين 1: 3) فأخفى عليهم هذا، وقال لهم: إنه قربان سلامة، إذ يجوز تقريبه من الأنثى وفقاً لما ورد: "وإن كان قربانه ذبيحة سلامة فإن قرب من البقر ذكراً أو أنثى..." (اللاوين 3: 1)، وقام بتحريك ذنبه لإقناعهم فيكفوا عنه، وأراد بهذا الابتعاد عن جدالهم ساعياً للسلام (777: 1992: 537).

ومن ناحية أخرى جعلوا لهليل منزلة البشر، على الرغم من أنهم ساووه بموسى في عدد سنّي حياته، وساووه بعزرا لما قدمه بتأسيس الشريعة لهم، إلا أنهم ذكروا أن هليل كأى إنسان ينسى ويتذكر، وفي رواية تتصبيه رئيساً على بني بئيرا، سألوه بنو بئيرا عن حكم نسيان إحضار سكين في مساء الجمعة، فأجابهم: "إن الحكم في هذا سمعته ولكني نسيته، لكن اتركوها لبني إسرائيل، وإن لم يكن الآن أنبياء، فإنهم أبناء الأنبياء"، وفي اليوم التالي، والذي كان يوم سبت وعيد فصح، وضع كل من أحضر حملاً لتقريبه السكين في صوفه، وكل من أحضر جدياً وضعها بين قرونه، فرأى هليل هذا وتذكر الحكم، فقال: "إن هذا ما تلقينته من فم شمعي وأبطالين" (ب بساحيم 66أ)، وفي هذا المثال أمران أراد الربانيون إخبارنا بهما، الأول هو تأكيد أن عهد الأنبياء قد انتهى، وأن هليل إنسان قد تخونه ذاكرته وينسى، والأمر الثاني هو: إن نسي هليل الحكم، فإن بني إسرائيل وهم أبناء الأنبياء، سينهجون نهجهم، فإن نسي حكماء إسرائيل الأحكام فإن بني إسرائيل لن ينسوا، وعلى الرغم من أن هليل قد نسي كما نسي بنو بئيرا، فإنهم تنازلوا له عن الحكم.

أكثر هليل من الاقتباس من آيات العهد القديم، والتي تمثلت حكماً في أقواله، إذ اقتبس من سفر المزامير؛ عندما وصل المدينة التي يسكنها وسمع صوت صياح من داخل بيته، قال مستنداً على ما ورد: لا يخشى من خبر سوء (المزامير 112: 7) (ي براخوت 9: 3). واقتبس أيضاً من سفر المزامير، إذ كان يقال: إن سمع شخص وهو في سفر عن

هذا لكونه منهم، كما رأينا في مثال بيت المدراش في إصراره على التعلم رغم فقره، فتواضع لهم وساعدهم، ولعل هذا يتجلى أكثر في القصة الموائية التي يرويها التلمود: "قالوا عن الشيخ هليل: إنه استأجر لفقير بسيط حصاناً ليمتطيه، وعبداً ليمشي أمامه ويقوده، وذات مرة لم يجد الفقير العبد، فمشى هو بدلاً منه ثلاثة أميال" (ب كتوفوت 67ب).

أثر هليل في الشريعة اليهودية

عاش هليل في عصر الملك هيرودس الذي تخلله ازدهار في مجالات الحياة المتعددة (ب تعنيت 23أ)⁴⁴، وتماشيا مع التغيرات السياسية التي حدثت في فلسطين، والتمثلة بسقوط العائلة الحشمونية، واعتلاء هيرودس السلطة، حاول هليل أيضا أن ينظم حياة اليهود وفقا لهذه المعطيات الجديدة. فبالإضافة إلى فتاوى هليل الدينية، كما تقدم، عمل أيضا على تنظيم حياة اليهود الاقتصادية، مدركا تغيرات عصره عن عصور الذين سبقوه، بتغيير بعض فرائض التوراة إن لزم ذلك، فوفقا لما ورد في سفر التثنية: إن على كل يهودي أن يترك دينه مرة كل سبع سنين، وأن يتنازل عنه للمدين. فتسببت هذه الفريضة في كل سبع سنين بأزمة اقتصادية خانقة لليهود في عهده، إذ كان أصحاب الأموال يرفضون إقراض الفقراء خشية إغفال الديون وإلغائها في السنة السبئية (المسيري، 1998، ج 5، ص 275)، ومما جعل الفقراء أيضا يتمادون بعدم دفع المستحقات المالية لأصحابها، آملين إغفالها وإسقاطها عنهم حينما تحل تلك السنة، مما جعل هليل يخالف أحكام الشريعة التوراتية، بأن وضع حكما عرف عند الريانيين باسم حكم הפרובול (=القرض المسترجع فور الطلب)، والذي جاء ليمنع منعا باتا فرض إغفال الديون المذكور في التوراة (انظر: التثنية 15: 1) في السنة السابعة والتي عرفت بسنة الإبراء أو السنة السبئية (=שמיטה)، شريطة أن يقدم المقرض تصريحاً بقيمة القرض أمام المحكمة، ووضع هليل نص هذا التصريح، وذكر في المشناة كاملاً، إذ جاء فيها: "هذا نص البروزبول: أصرح أمامكم أيها القضاة فلان وفلان في المكان الفلاني، بأني سأحصل على كل ديني وقت ما أشاء. ويختم القضاة أو الشهود في أسفل العقد" (م شفيعيت 10: 4) وعندما يسلم هذا العقد إلى المحكمة يصبح قائماً، فتزول فريضة إغفال الديون الواردة في التوراة على مقرض المال بناء على هذا العقد، ويحق له المطالبة بماله وقتما شاء، حتى إن أراده في السنة السابعة، وعلل التناثيون سبب سن هليل لهذا الحكم بأنه أراد إصلاح العالم، إذ ورد في المشناة הלל התקין פרובול מפני תיקון העולם (=أفتى هليل بالبروزبول وذلك لإصلاح العالم)

أحدهما: سأذهب وأغضبه، فكان هليل في منزله يغسل رأسه، فذهب الرجل إليه، وصاح بباب بيته، وقال: هل هليل هنا؟ هل هليل هنا؟ فارتدى هليل ملابسه وخرج إليه، وقال له: ماذا تريد يا بني؟ فأجابه الرجل: عندي سؤال أريد أن أسالك إياه، فقال هليل: سل يا بني. فسأل الرجل: لماذا يكون رأس البابليين مدورا؟ فأجابه هليل: لقد سألت سؤالا عظيما يا بني! لأن لهم قابلات ماهرات. فذهب الرجل وانتظر ساعة وعاد إليه مرة أخرى وصاح: هل هليل هنا؟ هل هليل هنا؟ فارتدى هليل وخرج إليه، وقال له: ماذا تريد يا بني؟ فأجابه الرجل: عندي سؤال أريد أن أسالك إياه، فقال له هليل: سل يا بني. فسأل الرجل: لماذا عيون الثموديين طرطة؟ فأجابه هليل: لقد سألت سؤالا عظيماً يا بني! عيونهم طرطة لأنهم يقطنون الأماكن الرملية. فذهب الرجل وانتظر ساعة، وعاد إليه مرة أخرى، وصاح: هل هليل هنا؟ هل هليل هنا؟ فارتدى هليل وخرج إليه، وقال له: ماذا تريد يا بني؟ فأجابه الرجل: عندي سؤال أريد أن أسالك إياه، فقال له هليل: سل يا بني. فسأل الرجل: لماذا أرجل الأفارقة عريضة؟ فأجابه هليل: لقد سألت سؤالا عظيما يا بني! لأنهم يقطنون عند أحواض المياه. فقال الرجل: لدي أسئلة كثيرة، لكنني أخشى أن أغضبك. فارتدى هليل وجلس أمام الرجل وقال له: سل عما تشاء. فقال الرجل: أأنت هو هليل الذي يدعونه رئيس إسرائيل، فأجابه: نعم. فقال الرجل: إن كنت هو، فلا يوجد على شاكلتك كثير في بني إسرائيل، فقال له: لماذا يا بني؟ فأجابه: لأنني خسرت أربعمئة زوز بسببك. فقال له: احرص على نفسك، واعلم أن هليل يستحق أن تخسر من أجله أربعمئة زوز وأربعمئة أخرى، واعلم أن هليل رجل لا يغضب (ب شبت 31أ).

يحمل هذا المثال رسائل عدة، منها، صبر هليل على الرجل الذي كان يسأله أسئلة ساذجة لإثارة غضبه، فكان يجيب عنها بكل هدوء، وفي هذا إشارة من الريانيين على هدوئه، وصبره، وحسن معاملته، وأيضا تواضع هليل كرئيس لبني إسرائيل، وجلوسه أمام السائل. كما حرص هليل على الغسل وهذا ما رأيناه في المثال السابق عندما كان هليل يفارق تلاميذه. ولعل هذا كان أحد أساليب هليل في تقريب العامة من اليهود إلى التوراة، ولهذا حذر من الغضب والشدة، وكان مستعدا للإجابة عن أي سؤال يطرحه العامة، حتى لو قصد منه استصغاره، والسخرية منه كما رأينا، ولهذا نجد ما قاله الريانيون عن تواضعه إذ ورد: ת"ר לעולם יהא אדם לננוון כהלל (=علم الريانيون: لن يكون إنسان متواضع كهليل أبدا) (ب شبت 30ب).

أحب هليل الفقراء، وشعر بهم أكثر من غيره، وربما يعود

(م جيطين 4: 3).

عرف عنه بأنه من الطائفة الفريسية (Wylen 2005: 55)، وأنه امتن مهنة البناء (ب شبت 31أ)، لكن هذا لم يمنعه من أن يكون من أكبر حكماء بني إسرائيل ومعلمهم، بل تذكر المصادر أنه علم الكثير من التلاميذ الذين انتهجوا نهجه، وعرفوا في المصادر باسم مذهب بيت شماي (=בית שמאי) على غرار بيت هليل الذي أسسه وفقاً لاتجاهاته وتفسيراته الدينية قبل أن يعين رأساً للمحكمة (היימאן 1910: 1118)، وأول ما ورد هذا الاسم في المشناة (براخوت 1: 3). كما ورد اسمه في المشناة أيضاً مع قرينه هليل وذكر بأنهما تلقيا الشريعة ممن كانا قبلهما، وهما شمعي وأبطلليون (أفوت 1: 11-12)، معلما شمائي وهليل اللذان تلقيا منهما الشريعة الشفوية، وكانا من أكثر تلاميذهما اجتهداً.

مكانته وصفاته:

اشتهر شمائي عند اليهود بعلمه بالشريعة وتفسيرها، إلا أن ما وصل مما قاله من حكم ومأثورات قليل مقارنة مع قرينه هليل، وسار على نهج هليل في الدعوة إلى الاجتهاد لتعلم التوراة، وعلى احترام الآخر، إذ قال: اجعل تعلم التوراة غاية، قل القليل، وافعل الكثير، واستقبل الناس بوجه حسن (أفوت 1: 14). إلا أن شمائي لم يكن ذا وجه حسن، كما تذكر لنا مصادر الريانيين، مثل التلمود وغيره، فقد عرف عنه تزمته وتشدده في أحكامه وفتاواه واستقباله الناس، وكان أشد من قرينه هليل كما سنرى لاحقاً.

عرف عن شمائي سلوكه المتعصب في التفسير والإفتاء وفرض الأحكام، ومعارضته رأي الجماعة، فما إن يجمع حكماء عصره على شيء حتى يخالفهم، ولعل هذا يتجلى بما ذكره رابنوا التلمود، إذ أجمعوا على تحريم غسل اليدين في يوم الغفران (ب يوما 77ب)، عدا من لديه رضيع، وذلك لتقادي إصابته بمرض التهاب السحائي الذي كان منتشراً بتلك الفترة، فرفض شمائي حكمهم، معتبراً أن هذا اليوم يوم مقدس للرب، وحرم فيه غسل اليدين، أو حتى غسل اليد الواحدة في ذلك اليوم (ب يوما 77ب وحولين 107ب).

كان شمائي أكثر حرصاً على تأدية فرائض الدين اليهودي، وحاول فرض هذه الفرائض والأحكام حتى على الرضع، فتذكر المشناة أن حدث مرة أن ابنة شمائي وضعت حملها في يوم عيد المظلة، فسارع بعمل العريشة، التي تصنع خصيصاً لهذا العيد (سوكا 2: 8)، وكان القصد من هذا العمل كما يشرح رابنوا التلمود أن يبدأ بتعليم الرضيع فرضاً من فرائض الدين (سوكا 28أ وب).

إن علاقة شمائي بحكماء عصره وصلت حد العناد في

كما حاول هليل تنظيم حياة العامة من اليهود الذين حاولوا الالتفاف على قوانين التوراة وشرائعها، فوفقاً لما ورد في سفر اللاويين: (وإذا باع إنسان بيت سكن في مدينة ذات سور فيكون فكاكه إلى تمام سنة بيعه سنة يكون فكاكه) (اللاويين 25: 29)، فيحسب هذه الفترة التوراتية، فلا يجوز للبائع الذي قام ببيع بيته، أن يخليه إلا بعد سنة من تاريخ بيعه، وبعد انتهاء السنة يفوز المشتري بالبيت الذي اشتراه، لكن بعض اليهود في زمن هليل احتالوا على هذا النص، وذلك بغيابه وعدم حضوره في يوم التسليم، لتعود ملكية المنزل له، فيذهب المال والبيت من يد المشتري سدى، مما حدا بكثير من اليهود أن يمتنعوا عن شراء المساكن، فأدى ذلك إلى ركود اقتصادي، فما كان من هليل إلا أن ألزم بائع البيت أن يضع ثمنه في خزانة الهيكل عند استلامه، وبذلك يجبره على أن يحضر في يوم التسليم، فيفوز المشتري بالبيت (را. م عراخين 9: 4).

إن هذه الصورة النمطية التي وجدت في أدب الريانيين عن هليل في حكمته وورعه وعلمه، هي صورة لا يخلو أدب الريانيين منها أبداً؛ وقد يطول الحديث عن هليل وإعجاب الريانيين به. وعلى الرغم من أن فترة الأزواج قد توقفت بموته (المسيري، 1998، ج 5، ص 152) وبموت قرينه، فإن هذه الصورة النمطية التي قدمتها هذه الدراسة ظلت حاضرة لأجيال جاءت من بعده، ومن الجدير بالذكر أنه كلما ذكر اسم هليل في صورته هذه ذكر اسم قرينه شمائي، وقد أسهب رابنوا التلمود بالحديث عن هليل، غير أنهم أوجزوا بالحديث عن شمائي.

شمائي - شمائي

ورد اسم شمائي في الآرامية البابلية كما هو في المشناة (معسر شني 2: 4) ب شمائي (ب يوما 77ب)، وورد اسمه في الآرامية الفلسطينية ب شمائي (توسفتا شفيعيت 3: 10)، و شمائي (ي سوكا 2: 9). لقب شمائي كهليل ب شمائي הזקן (=الشيخ شمائي) (م عورلا 2: 5). ولم تذكر مصادر اليهود سنة ولادته، لكن رجح الباحثون⁴⁵ أنه عاش بين عام 50 ق.م إلى 30م تقريباً. وأصبح رأس محكمة السنهدين אב בית דין (=رأس المحكمة)⁴⁶، بعد أن تنحى مناحيم الأسيني (=מנחם האסיני) الذي كان قريناً لهليل قبل شمائي، إذ تذكر المشناة: יצא מנחם סנהדרין (=خرج مناحيم فدخل شمائي) (حجيجا 2: 2)، ويضيف Lauterbach بأن شمائي انتخب لهذا المنصب من قبل أعضاء السنهدين حين كان هليل رأساً لها (Lauterbach 1939, vol. 11: 230)، ويعتبر شمائي آخر من تقلد هذا المنصب في فترة الأزواج.

(ب قيدوشين 143) . ولعلنا في هذا المثال نجد للوهلة الأولى أن شماي قد تساهل في هذا الحكم تجاه الرسول، إلا أن هذا التساهل لم يكن إلا لمخالفة حكماء عصره، وكأن ربابيني التلمود أرادوا القول: إن تساهل شماي بهذا الحكم لم يكن من صنيعه نفسه، وإنما كان من صنيع النبي حجي، لكن إن عدنا إلى سفر حجي فإننا لا نجد ذكراً لهذه المقولة في السفر .

وفي هذه الأمثلة الثلاثة نرى أن شماي كان أكثر تساهلاً من جميع الربابينيين، ولعل ما ذكر بهذا الشأن هو غاية أراد الربابيون إظهارها عن شماي وهي مخالفته لهم .

نسب إلى شماي كثير من الآراء التي وردت في أدب الربابينيين، ولا يكاد يخلو مصدر من مصادر الربابينيين من رأي له . وفي أغلب أحكامه التي ذكرتها مصادر الربابينيين كان شماي ينتهج التزمّت والصرامة ومخالفة الجماعة، إلا أنه كان مرناً في أحكام عدة، وذلك لمخالفة رأي الجماعة كما رأينا . إن مخالفته الجماعة امتدت أيضاً إلى تلاميذه الذين انتهجوا نهجه واتبعوه، وتذكر المشناة عدة أمثلة بهذا الشأن، منها أن تلاميذه رأوا أن كرسي العروس نجس إن فقد غطاءه، فيما رآه هليل طاهراً، إلا أن شماي رأى أن الكرسي وإطاره نجسان (م كيليم 12: 4)، مخالفاً بذلك تلاميذه وهليل في أن واحد .

هليل وشماي: أساس الخلاف

لم تذكر مصادر الربابينيين أن خلافاً مذهبياً قد نشأ قبل حقبة الأزواج، عدا الخلاف الوحيد الذي سجلته المشناة بين الأزواج في حكم إسناد اليدين على القريان أثناء العيد (حجيجا 2: 2)، ولم تسجل المشناة خلافاً بين هليل مع قرينه السابق مناحم، إذ تذكر المشناة: הלל ומנחם לא נחלקו (=لم يختلف هليل ومناحم)، وتكمل المشناة: "לא מנחם, נכנס שמאי (=خرج مناحم فدخل شماي)، ثم تسجل أول خلاف ديني بينهما في قضية إسناد اليدين على القريان، فتضيف שמאי אומר שלא לסמוך, הלל אומר לסמוך (يقول شماي لا يسند، بينما يقول هليل يسند) (م حجيجا 2: 2). من الجدير بالذكر أن جميع الخلافات بين هليل وشماي، هي خلافات في العبادة فقط، وليست في العقيدة، فلم يختلفا على وجود الله أو على وحدانيته، وهذا مذكور ومؤكّد في سفر التثنية مراراً (انظر: التثنية 4: 35 و 6: 4 و 32: 39)، ولا خلاف عليه عند كل من المذهبين .

إن الخلاف بين هليل وشماي، الذي برز في أدب الربابينيين، لا يخفيه مصدر من مصادرهم، وإن هذا الخلاف جاء في الحياة الروحية للإنسان اليهودي، لتنظيم حياة المجتمع من طهارة ونجاسة وعبادة، فتذكر المشناة وحدها، بالإضافة إلى الخلاف التي ذكرته هذه الدراسة في قضية إسناد اليدين

بعض الأحيان، إذ طلب إلى حكماء عصره أن يحكموا بحكم يقضي للحقل المحروث في السنة السابعة بترك زراعته في الثامنة، فرفضوا طلبه، وبعد وفاته تحقق ما طلبه، فحكمت محكمة السنهدرين بذلك (توسفتا شبيعت 3: 10).

أثر شماي في الشريعة اليهودية

يذكر المدرّاش (سفري دفاريم 203) أن شماي فسّر ثلاث آيات من التوراة بخصوص حرمة يوم السبت، إلا أن المدرّاش ذكر اثنتين منها، وفي البحث في مصادر الربابينيين نجد أن شماي قد خالف رأي الجماعة في الأحكام الثلاثة، فالتفسير الأول الوارد في المدرّاش هو بخصوص ما ورد: "... وتبني حصناً على المدينة التي تعمل معك حرباً حتى تسقط (التثنية 20: 20)، إذ فسر الربابيون هذه الآية بأنه يجب محاصرة المدن قبل ثلاثة أيام من حلول يوم السبت على الأقل، وبمجرد أن بدأ اليهود بحصارها لا يجوز التوقف عن حصارها حتى تسقط، أما شماي فأجاز البدء في حصار المدينة حتى سقوطها، وإن بُدئ بحصارها يوم السبت (ب شبت 19أ وسفري دفاريم 203)؛ ولعل هذا المثال يظهر للقارئ مدى تشدد شماي، الذي وصل حد التطرف تجاه الأغيار، وإن وصل هذا الأمر إلى تنديس حرمة السبت، الذي حُرّم فيه أي عمل .

وأما التفسير الثاني، فقد جاء بخصوص ما ورد عن ربابيني المشناة عن قداسة يوم السبت (بيتصاه 5: 2)، إذ حرم كل عمل، إن كان واجباً أو اختيارياً، فاعتمد ربابيو المشناة في هذا على ما ورد في سفر الخروج: "... وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك لا تصنع عملاً ما..." (الخروج 20: 8-10). فحرّم الربابيون ركوب البحر يوم السبت، إلا أن شماي قد خالفهم في هذا، وسمح بالسفر في البحر إن خرج المسافر يوم الجمعة (سفري التثنية 203)، ضارباً بعرض الحائط حرمة السبت وتقديسه وفقاً لسفر الخروج .

ولعل التفسير الثالث الوارد في التلمود يؤكد ما تذهب إليه هذه الدراسة، وهو أن تساهل شماي جاء لمخالفة الربابينيين، وهو ما يخص الآية التوراتية "... وإياه قتل بسيف بني عمون" (صموئيل الثاني 9: 12)، إذ تتناول هذه الفقرة موضوع ما يسمى الرسول المبعوث من شخص ويحمل رسالة ما، وهو ما يدعى في العبرية שליח، إذ أجمع الربابيون إن كان هذا الرسول يحمل خبر إجرام أو شر لليهود فإن هذا الرسول مسؤول عن الجرم (وليس من أرسله فقط)، إلا أن شماي تساهل في هذا الأمر مخالفاً الجماعة، قائلاً على لسان النبي حجي: إن رسول الإجرام لا يقع عليه الجرم، وإنما يقع على من أرسله فقط؛ مدلاً هذا بما ورد في سفر صموئيل الثاني 9: 12

إن كبار فقهاء الدين لم يتمسكوا بأرائهم (م عيديوت 1: 4). ومن خلال هذه الخلافات بين هليل وشماي، نجد أن شماي كان أكثر تساهلاً من هليل في ثلاثة أحكام من أصل أربعة، فتساهل في قضية إسناد اليدين على القربان، وتساهل أيضاً بخصوص نجاسة المرأة، وتساهل أيضاً بكمية المياه التي تتجس المغطس، وتشدّد في تقدمة العجين.

يصف لنا ربايو التلمود الحالة التي كانت قائمة عندما كان يختلف هليل وشماي، وفقاً لوجهة نظر كل واحد منهما، إذ يصف الربانيون هليل مرة أخرى بالرؤوف العطوف، فما إن يختلف هليل وشماي في أمر ما حتى تسود حالة من الكآبة والحزن في بيت المدراش، وكأن بيت المدراش طعن بسيف حاد (נלצו חרב בבית המדרש)، فقالوا: على من أراد أن يدخل بيت المدراش فليدخل، ومن أراد أن يخرج منه فلا يخرج (הנכנס יכנס והיוצא אל יצא)، ولعل هذه محاولة من الحكماء لحل الخلاف بين هليل وشماي، وإقحام الآخرين الداخليين إلى بيت المدراش في حل الخلاف، وحثهم على عدم الخروج منه حتى يحل الخلاف القائم بينهما. ويتابع التلمود واصفاً حال هليل بأنه كان في نفس اليوم الذي يختلف فيه مع شماي، ينحني لشماي كواحد من تلاميذه (ואותו היום היה הלל כפוף ויושב לפני שמאי כאחד מן התלמידים) (ب شبت 117أ). ولعل في هذه المقولة ما يوضح لنا أن هليل الذي عين رئيساً لليهود -وهو أعلى منصب كان يمنح في ذلك الوقت- ينحني متواضعا لشماي الذي كان أقل مكانة دينية منه، ولعل هذا المثال يذكرنا بالمثال السابق الذي ذكرته هذه الدراسة عن الرجل الذي تراهن مع رجل آخر ليغضب هليل، وكيف أن هليل استوعبه واحتواه متواضعاً له.

وفي نفس الموضع يصف لنا التلمود حالة أخرى وهي: إن وقع خلاف بين هليل وشماي فإن الحزن يزداد ويتعاضم ليس في بيت المدراش فقط، وإنما في "إسرائيل" كلها. وشبه التلمود هذه الحالة بالضائقة التي مرّ بها بنو إسرائيل حينما عبدوا العجل في أيام موسى عليه السلام عندما رجع إليهم (الخروج 32: 8-20)، فيصف الربانيون هذا ويوازونه باليوم الذي اختلفا فيه: והיה קשה לישראל כיום שנעשה בו העגל (=كان ضيقة على إسرائيل كضيقة اليوم الذي صنع فيه العجل) (ب شبت 117أ).

لكن في المقابل لا يخفي ربايو التلمود مدى احترام شماي ولو على الأقل لأحد تلاميذ هليل، إذ علم الربانيون أنه ذات مرة حدث أن شخصاً كان له أولاد عاقون، فوهب أملاكه لليوناتان بن عوزيئيل، الذي بدوره باع الثلث، وتصدق بثلاث، وأعاد ثلثاً لأبنائه، فجاء إليه شماي بعصاته وحقيته⁵¹، فقال

على القربان في يوم العيد، ثلاث خلافات بين هليل وشماي، اثنان منها في موضوع الطهارة، وثالثها في تقدمة الحلة. وكان هليل أكثر تشدداً من شماي في موضوع الطهارة، فاختلفا مثلاً في بدء نجاسة المرأة الحائض، فيقول شماي: إن المرأة تتجس عندما ترى دم الحيض، أما هليل فيقول: إن المرأة تعد نجسة، מפקידה לפקידה (=من فحص لفحص) (م عيديوت 1: 1). ويفسر الرباي موسى بن ميمون (רמב"ם، לעיוות، א) هذا الجملة قائلاً: إن فحصت المرأة نفسها على سبيل المثال يوم الأحد فوجدت نفسها طاهرة، ولم تقم بفحص نفسها مرة أخرى حتى يوم الخميس، وتبين لها أنها حائض، فإن كل الأعمال الطاهرة التي قامت بها من يوم الأحد، وهو يوم فحصها لنفسها للمرة الأولى، حتى يوم الخميس وهو يوم فحصها لنفسها للمرة الثانية، تعد نجسة. ومن الواضح أنهما لم يختلفا في مدة نجاسة المرأة، أو في نجاسة كل ما تلمسه، إذ ورد في التوراة أن المرأة الحائض تعد نجسة سبعة أيام، وسبعة أيام أخرى حتى تطهر، ولم يختلفا على ذلك، لأن فيه نصاً واضحاً (را. اللاوين 15: 19-33)، بينما اختلفا على ما لم تذكره التوراة، وهو بدء نجاسة المرأة، مما قادهما إلى الاختلاف فيه. والخلاف الثاني بما يخص الطهارة، هو خلاف في كمية المياه المسحوبة للمغطس⁴⁷ المعد للطهارة، إذ جعل هليل كمية المياه التي تتجس المغطس هيناً⁴⁸ واحداً، وجعل الباب مفتوحاً للاجتهد، إذ قال: "ملء هين من الماء المسحوب تتجس المغطس، وينبغي على الإنسان أن يقتدي بكلام رابه"، بينما حدد شماي ذلك بتسعة قابات⁴⁹ (م عيديوت 1: 3).

أما الخلاف الثالث، نجد أن شماي كان أكثر تشدداً من هليل، فورد هذا الخلاف بقضية تقديم العجين (=חלה) للرب، إذ ورد: "من أول عجينكم تعطون للرب..." (العدد 15: 21)، فاختلف الاثنان في كمية العجين التي يجب على الإنسان أن يقدمها، فحددها هليل بقاب واحد، بينما حددها شماي بقابين (م عيديوت 1: 2).

ومن الملاحظ أن هذه الخلافات والآراء لكل من هليل وشماي قد رفضها الحكماء، فما تذكر المشناة خلافاً إلا ويرد بعده وحكماء أومרים، לא כדברי זה ולא כדברי זה (=وقال الحكماء: ليس الأمر كحديث هذا أو ذاك). وهذا يعني أن الحكماء الذين جاؤوا من بعدهم أو من عاصرهم رفضوا أحكام هليل وشماي على السواء، مكونين في ذلك رأياً ثالثاً يختلف عن رأي كل من هليل وشماي⁵⁰، وتسأل المشناة سؤالاً موضحاً فيه ذكر آراء هليل وشماي دون الأخذ بهم: لماذا ذكرت آراء هليل وشماي، إن كانت آراء باطلة؟ فتجيب: حتى تتعلم الأجيال القادمة أنه لا يجوز للإنسان أن يتمسك برأيه، إذ

في الدين اليهودي وجب عليه الإيمان بكلا التوريتين المكتوبة والشفوية.

وفي الموضع نفسه (ب شبت 131أ) يروي الريانيون قصة أخرى تبين الفرق الشاسع بين كل من هليل وشماي، ففي هذه القصة استخدم الريانيون الشخصيات نفسها مع وثني آخر، ففي أحد الأيام رغب أحد الوثنيين في أن يدخل في الدين اليهودي، فذهب إلى شماي وقال له: "أريد أن تجعلني يهودياً، شريطة أن تعلمني التوراة كلها وأنا واقف على قدم واحدة"، لم يتحمل شماي الوثني، فصدده بأداة بناء⁵⁴ كانت بيده، فانصرف عنه الوثني، وذهب إلى هليل، وقال له: أريد أن تجعلني يهودياً، شريطة أن تعلمني التوراة كلها وأنا واقف على قدم واحدة"، فأجابه هليل: دעלך סני לחברך לא תעביד - זו היא כל התורה כולה، ואידך - פירושה הוא، זיל גמור (=لا ترض لصديق ما لا ترضاه لنفسك، فهذه هي التوراة كلها، وما بقي منها ما هو إلا تفاسير، اذهب وتعلمها) (ب شبت 131أ).

في هذا المثال يتضح ضيق صدر شماي، ورحابة صدر هليل بموافقه على قبول الوثنيين الدخول في الديانة اليهودية، على الرغم من أن الوثني قرن شرط دخوله بأمر غير منطقي، إلا أنه أراد أن يختبر كلا من هليل وشماي، ويتضح من هذا المثال أيضاً حكمة هليل وما قاله للوثني، "لا ترض لصديق ما لا ترضاه لنفسك"، فهو يعبر عن اختيار هليل ألفاظاً حسنة مع من أراد أن يتهود، فلا يكرههم في الدين (وألך 1992: 537). والقصد مما قاله هليل للوثني هو إن كان تعلم التوراة وقفاً على قدم واحدة أمراً مكروهاً له، فلا يجب أن يتمنى هذا الأمر لصديقه أو لمعلمه، فكيف يجوز لهليل أن يعلم التوراة كلها وثنيّاً على قدم واحدة وهو أمر شاق على المتعلم؟! ولا يجوز للمعلم قبول هذا، إذ فيه مشقة للمتعلم، كما نرى أيضاً في هذا المثال، رافة هليل بالوثني، فاختصر له التوراة كاملة بجملته قصيرة، حتى لا يجهد ويتعب الوثني في الوقوف على قدم واحدة لفترة طويلة.

إن هذه الجملة التي أشار إليها هليل، أراد بها مضموناً مشابهاً لفقرة توراتية، وهي: ... ואהבת לרעך כמוך ... (=... بل تحب قريبك كنفسك ...) (اللاوين 19: 18)، وسميت هذه الفقرة بفقرة المعاملة بالمثل أو القاعدة الذهبية (Bacher 1939: 397)، وهي تتوسط كتب التوراة الخمسة، ولهذه القصة صنعت الدولة العبرية تمثالاً لهليل، يقف فيه الوثني على قدم واحدة، وهليل يعلمه التوراة (Scharfstein 2008: 525).

لكن في الحقيقة، يعتقد Bacher (1939: 397) أن هذا الوثني الذي أراد أن يتهود هو رجل معروف في فلسطين، وله أثر واضح على المسيحية، إذ وردت هذه القاعدة الذهبية

له: شماي: إذا استطعت أن تسترد ما بعث، وما تصدقت به، فإنك تستطيع أن تسترد مني ما أعدته⁵²، فإن لم تستطع، فإنك تستطيع أن تأخذ ما أعدته (للأنباء)⁵³. فيبرز هنا إعجاب شماي بيوناتان بن عوزائيل وبدهائه فيقول: "تغلب علي يوناتان بن عوزائيل، تغلب علي يوناتان بن عوزائيل" (ب بابا باترا 133أ و 134أ).

هليل وشماي: الفرق في النهج والمنهج

لعل من المناسب أن تذكر هذه الدراسة بعض الأمثلة عن صورة هليل وشماي عند الريانيين ومنزلة كل واحد منهما، إذ صور الريانيون هليل برجل متسامح، فيما صوروا لنا شماي برجل مترمّم، هذا التسامح الذي وصل حد الرافة والحكمة، وهذا التزمّت الذي وصل حد العنف والتطرف حتى مع الأغيار، ويوجز الريانيون هذه الصورة النمطية لكل واحد منهما في قصص عدة حدثت لكل من هليل وشماي، ذكرت جميعها في صفحة واحدة من التلمود، وجميع هذه القصص وردت عن أشخاص أرادوا أن يدخلوا الدين اليهودي لكن بشروط قد تكون ساذجة، وفي هذه القصص يمكن أن نرى كيف صور لنا الريانيون نهج هليل ونهج قرينه شماي مع من أراد أن يتهود، إذ ورد أن أحد الوثنيين جاء إلى شماي، وقال له: "كم توراة لكم؟" فأجابه شماي: "ثنتان، التوراة المكتوبة والتوراة الشفوية". فقال له الوثني مشككاً بما قال شماي: "إنني أصدقك بشأن التوراة المكتوبة، أما بشأن التوراة الشفوية فلا أصدقك". وأضاف الوثني قائلاً لشماي: "أريد أن أتهود شريطة أن تعلمني التوراة المكتوبة فقط". فصرخ شماي في الوثني، وطرده موبخاً إياه على أن لا يعود إليه مرة أخرى. فذهب هذا الوثني إلى هليل بنفس ما اشترط على شماي، فهوّد هليل، وفي اليوم الأول من دخوله في الدين اليهودي علمه هليل أول أربعة حروف من حروف اللغة العبرية وهي: الألف والبيت والجيم والدالت (=א, ב, ג, ד)، وفي اليوم الثاني أعادها هليل عليه مرة أخرى لكن بالعكس، فقال المتهود لهليل مستغرباً: "في الأمس لم تعلمنيها هكذا!" فأجابه هليل: "ألا ينبغي أن نتق بي؟ فإن وثقت بطريقة تعليمي لك شفويّاً، فعليك الوثوق في التوراة الشفوية" (ب شبت 131أ).

ولعل الريانيين أرادوا من هذه القصة أمرين، الأول: إظهار دهاء هليل وخبرته في تعليم الشريعة، وإقناع الآخر في الدين اليهودي والشريعة الشفوية، أما الأمر الآخر: هو تأكيد إيمان هليل وشماي بالشريعة الشفوية، وهي المشناة التي دونها وجمعها الراي يهودا الناسي عام 200م تقريباً، في حين أن هليل وشماي عاشا حتى عام 30م تقريباً، وكل من أراد الدخول

ويتضح نهج كل من هليل وشماي في مثال آخر يذكره الريانيون عن الفرق الشاسع بينهما تجاه ربهما، إذ يذكر التلمود أن الريانيين قالوا عن الشيخ شماي: إنه كان يأكل ويمجد السبت، فمرة وجد بهيمة حسنة، فقال: أدخرها ليوم السبت. ووجد بهيمة أخرى أكثر حسناً من الأولى، فأدخرها وأكل الأولى. لكن الشيخ هليل له نهج آخر، فكل أعماله ادخرها لرب السموات، إذ ورد: (مبارك الرب يوماً فيوماً يحملنا إله خلاصنا سلا) (المزامير 68: 19) (ب بيتسا 16أ). ولعله يتضح من هذا المثال أن لو أن ما حدث لشماي قد حدث لهليل، لآقتات بالبهيمة الأولى وادخر الثانية للرب، على عكس شماي، كما أن هذا المثال واقتباسه من التوراة يريد أن يفصح لنا أن هليل كان يمجّد الرب كل يوم، على عكس شماي الذي يقدره في يوم السبت.

المذهب والخلاف على الخلاف

أسس هليل وشماي مدرستين دينيتين، نسبنا إليهما، وسرعان ما أصبحت كل مدرسة من هاتين المدرستين تمثل مذهباً دينياً له آراء وأحكام خاصة به، ومع ازدياد أتباع كل مذهب زادت الخلافات بين هذين المذهبين، وفي كل خلاف يرد، نجد أن الريانيين قد انقسموا في تأييد هذين المذهبين إلى أقسام ثلاثة، منهم من كان على مذهب هليل فأيده، ومنهم من كان على مذهب شماي فأيده، ومنهم من استهجن خلافتهم في ما طرح من قضايا، على الرغم من أن كل مذهب حاول الاستدلال بفقرات من كتب العهد القديم ليدعم وجهة نظره، كما في المثال التالي الذي تقتبسه هذه الدراسة من المدرش، إذ اختلف كلا المذهبين في تفسير قضية خلق السموات والأرض وأيهما خلق أولاً:

بيت شمائي وبيت הלל، بيت شمائي وأومרים השמים נבראו תחלה ואח"כ נבראת הארץ، وبيت הלל אומרים הארץ נבראת תחלה ואח"כ השמים، אלו מביאין טעם לדבריהם، ואלו מביאין טעם לדבריהם، על דעתיהן דבית שמאי דאינון אמרין השמים נבראו תחלה ואח"כ הארץ، משל למלך שעשה לו כסא ומשעשאו עשה איפיפורין שלו، כך אמר הקדוש ברוך הוא (ישעיה 50) השמים כסאי והארץ הדום רגלי וגו'، ועל דעתיהן דבית הלל /דבית הלל/ דאינון אמרין הארץ נבראת תחלה ואח"כ השמים، משל למלך שבנה פלטין משבנה את התחתונים، אח"כ בנה את העליונים، כך ביום עשות ה' אלהים ארץ ושמים، אמר רבי יהודה בר אילעי אף דין קרא מסייע לב"ה (תהלים קב) לפני הארץ יסדת، ואח"כ ומעשה ידיך שמים، א"ר חנין ממקום שהמקרא מסייע לבית שמאי

في أنجيل عدة⁵⁵، مثل إنجيل متي: (... تحب قريبك كنفسك) (متي 22: 39)، لكن Bacher لم يدرك أن هذه القاعدة هي قاعدة موجودة أصلاً في ديانات غير سماوية سبقت الديانة اليهودية، مثل الوثنية، وفلسفات يونانية قديمة، مثل السفسطة (Dihle 1962: 80- 109)، إلا أن الغريب في الأمر، ولأهمية ما قاله هليل، أن هذه القاعدة لم تذكر في المنشاة على لسان هليل، وإنما وردت فيها كإقتباس الرابي مائير من التوراة (نداريم 9: 4)، واكتفي التلمود بذكرها ونسبها إلى هليل.

وفي قصة أخرى تبين الفرق بين رافة هليل وقرينه شماي، وبنفس الشخصية المركزية، التي استخدمت في المثالين السابقين وهي شخصية الوثني، يروي الريانيون أن وثنياً كان ماراً من خلف بيت المدرش فسمع صوت المعلم يتلو: وهذه هي الثياب التي يصنعونها صدره ورداء ... (الخروج 28: 4)، فسأل الوثني المعلم وقال له: لمن تكون هذه الثياب؟ فقال: إنها خصصت للكهنة الكبير، فقال الوثني في نفسه: سأذهب وأتهود، لعلني أنصب كاهناً كبيراً. فذهب إلى شماي، وقال له: هودني شريطة أن تتصني كاهناً كبيراً، فرماه شماي بأداة البناء التي كانت بيديه. فجاء إلى هليل فهوده، وقال له: "أينصب ملك ما حكومة دون أن يعلمها جيداً؟ فاذهب وتعلم الحكومة (التوراة)". فذهب المتهود وبدأ بقراءة التوراة، وعندما وصل إلى الفقرة: ... والأجنبي الذي يقترب يقتل (العدد 1: 51)، سأل: "إلى من تشير هذه الفقرة؟" فقال له هليل: إنها تشير إلى داود ملك إسرائيل. ففكر هذا المتهود قليلاً وقال في نفسه مستدلاً: إن كان بنو إسرائيل يدعون أنفسهم بأبناء الرب، وفي حينهم قال الرب: ... إسرائيل ابني البكر (الخروج 4: 22)، وكتب في توراتهم: ... والأجنبي الذي يقترب يقتل (العدد 1: 51)، فكيف يكون الأمر لمتهود جاء بعضاً ومحفوظة؟ فجاء مرة أخرى لشماي وقال له: هل أستحق أن أكون كاهناً كبيراً؟ فقال له شماي ما ورد: والأجنبي الذي يقترب يقتل (العدد 1: 51). وبناء على ما قاله شماي هناك رفض لقبول يهوديته، فلذلك عاد إلى هليل الذي فسر له الفقرة بأنها تشير إلى داود، وقال: آه يا هليل المتواضع، لتتنزل البركات عليك، فأنت من قريبتني إلى جناحي رحمة الوحي الإلهي. ويروي التلمود أن هؤلاء الوثنيين الثلاثة قد التقوا يوماً ما في أحد الأماكن، وقالوا: أبعدنا تعصب شماي عن العالم، وقرينا تواضع هليل من جناحي رحمة الوحي الإلهي (ب شبت 31أ). وتجدد الإشارة هنا أيضاً، أنه ربما أراد الريانيون من ذكر هذه الروايات غاية، وهي تبيان كثرة الأشخاص الذين أرادوا أن يدخلوا في الديانة اليهودية من جانب، وعدم معارضة هذا الأمر من جانب آخر، ولو على الأقل وفقاً لمذهب هليل.

مشم بيت هليل مسلكين אותו، והארץ היתה، כבר היתה، ר' יוחנן בשם חכמים אמר، לבריאיה שמים קדמו، ולשכלול הארץ קדמה، אמר רבי תנחומא אנא אמרי טעמא לבריאיה השמים קדמו שנאמר בראשית ברא אלהים، ולשכלול הארץ קדמה שנאמר ביום עשות ה' אלהים ארץ ושמים، א"ר שמעון בן יוחאי תמיה אני היאך נחלקו אבות העולם، בית שמאי ובית הלל، על בריית שמים וארץ، אלא שאני אומר שניהם לא נבראו אלא כאלפס וכסויה، שנאמר (ישעיה מח) קורא אני אליהם יעמדו יחדו (=) אختلف כל من أتباع مذهب شمאי وأتباع مذهب هليل في قضية الخلق، فيقول أتباع مذهب شمאי: إن السماوات خلقت أولاً ومن ثم خلقت الأرض. في حين يرى أتباع مذهب هليل أن الأرض خلقت أولاً ومن ثم السماوات. وكلا المذهبين يأتيان بالدلائل وفقاً لوجهة نظر كل مذهب؛ فوفقاً لأتباع مذهب شمאי الذين يقولون إن السماوات خلقت أولاً ومن ثم الأرض، فقد استدلووا بالمثال الآتي: إن الملك عندما يصنع لنفسه كرسيّاً، يصنع له أولاً المقعد، وهذا ما قاله الرب جل جلاله: (هكذا قال الرب السماوات كرسيي والأرض موطن قديمي الخ) (إشعيا 66: 1). ووفقاً لأتباع مذهب هليل الذين قالوا إن الأرض خلقت أولاً ومن ثم السماوات، فقد استدلووا بالمثال الآتي: إن الملك الذي يبنى قصراً، يبنى أولاً الجزء الأسفل ومن ثم الجزء العلوي من البناء، (يوم عمل الرب الإله الأرض والسماوات) (التكوين 2: 4). قال الرايبي يهوداً بن إيلاي، داعماً رأي أتباع مذهب هليل بفقرة من التوراة: (من قديم أسست الأرض) وبعده ورد: (والسماوات هي عمل يديك)⁵⁶ (المزامير 102: 26). قال الر. حنينا: هناك موضع في التوراة والذي هو لصالح أتباع مذهب شمאי، وهو: (وكانت الأرض) (التكوين 1: 2)⁵⁷ أي أنها كانت قائمة. وقال الرايبي يوحانان عن الحكماء: إن الله خلق السماوات ومضى قدماً بأساسات الأرض. وقال الرايبي تنحوما: أدلل ذلك بخلق السماء أولاً كما قيل: (في البدء خلق الله السموات والأرض) (التكوين 1: 1)، ومضي قدماً في خلق أساسات الأرض، كما قيل: (يوم عمل الرب الإله الأرض والسماوات) (التكوين 2: 4). قال الرايبي شمعون بن يوحاي: إني لمستغرب! كيف يمكن لحكماء العالم وأتباع مذهب شمאי وأتباع مذهب هليل أن يختلفوا في خلق السماوات والأرض؟ إني أقول: إنهما خلقتا كما تصنع المقلاة وغطاؤها معاً، حيث قيل: ويدي أسست الأرض، ويميني نشرت السماوات، أنا أدعوهم فيقفن معاً) (إشعيا 48: 13) (بريشيت ريا 1: 15).

إن الأمثلة على هذا النمط كثيرة، والاختلافات التي كانت

قائمة أخذت تتعاظم وتزداد، مما أدى إلى امتعاض الرايبي يوسي في وصف الحال عند اليهود بما قاله بأن التوراة أصبحت تورائين، فقد ورد عنه: "لم يظهر أي خلاف في إسرائيل في بداية الأمر، إذ كان هناك محكمة (=بيت دين) واحدة تتكون من واحد وسبعين عضواً مقرها غرفة السهدين⁵⁸ (=لשכת הגזית)، ومحكمتان إضافيتان تتألفان من ثلاثة وعشرين عضواً، تقع الأولى في باب جبل الهيكل (=פתח הר הבית)، والثانية أمام باب مقصورة الهيكل (=פתח העזרה)، بالإضافة إلى محاكم محلية مكونة من ثلاثة وعشرين عضواً تقع في مدن إسرائيل الباقية. إن قُدمت مسألة (بشأن الطهارة والنجاسة)، سُئلت المحكمة المحلية في المدينة، فإن كان لقضائهم معرفة حلّها، وإن لم يكن، وجب على السائل أن يتوجه إلى المحكمة الواقعة بباب جبل الهيكل، فإن لم يستطع قضائهم حل هذه المسألة، توجه صاحبها إلى المحكمة الواقعة أمام باب مقصورة الهيكل، فيقول: "هذه هي المسألة أعرضها أمامكم، وهذه هي المسألة وفقاً لزملائي أعرضها أمامكم، وهكذا علّمت، وهكذا علّموا" فإن كان للقضاة معرفة حلّها، وإن لم يكن، ذهب جميعهم إلى المحكمة المنعقدة في غرفة السهدين (وهي المحكمة الكبرى)، التي كان قضائهم يجلسون منذ تقديم قربان المحرقة⁵⁹ في الصباح حتى تقديمه في المساء، وفي أيام السبت والأعياد يجلسون بمكان محصن في الهيكل⁶⁰ (=היכל⁶¹)، فنطرح المسألة أمامهم، فإن كان للقضاة معرفة حلّها، وإن لم يكن عرضوها للتصويت، فإن صوتت الأغلبية بطهارته، بأن الأمر نجس، فهو نجس، وإن صوتت الأغلبية بطهارته، فهو طاهر، لكن عندما كثر تلاميذ هليل وشماي الذين لم تكن لديهم الخبرة الكافية، زادت الخلافات في إسرائيل، وأصبحت التوراة (الشريعة) تورائين (شريعتين)... (ب سنهادرين 88ب).

ذاع صيت هذين المذهبين عند الريانيين، وعلى الرغم من أن الخلافات بينهما كثيرة، فإنهما تشاركا في أمور عدة، فكلاهما كان له مصدر ومنبع واحد للتشريع والحكم وهو التوراة، كما أن لهما نفس الأصل الطائفي التي ارتكز عليه كل مذهب، وهو الطائفة الفريسية، على الرغم من أنه في ذلك الزمن كان اليهود منقسمين إلى طوائف عدة، أهمها: الحشمونية والصدوقية، كما تشابه كلا المذهبين في زمن النشأة والمكان، إذ أسسا في الفترة الزمنية نفسها، وهي القرن الأول للميلاد، وأساساً في فلسطين، إلا أن الاختلاف في تفسير الشريعة وصل حد الكره بين أعضاء المذهبين، إذ يصف التلمود بعضاً من هذه الخلافات التي تحولت إلى حد كبير إلى خلافات شخصية بين الريانيين، فمثلاً نرى الريان جمليل (גמליאל) الذي تولى رئاسة السهدين، والذي يعد من أتباع مذهب هليل،

أتباع المذهبين، إذ يصف رابنؤ التلمود الفلسطيني الحال بين أتباع المذهبين بأنه وصل إلى حد القتل على خلفية أحد الخلافات، ويقدم رابنؤ التلمود الفلسطيني أتباع مذهب هليل بأنهم الضحية، فيقول: **תנא ר' יהושע אוןיא תלמידי ב"ש למדו להן מלמטה והיו הורגין בתלמידי ב"ה (=عَلَمَ الرابي يوشع أونيا أن تلاميذ مذهب شمائي كانوا يتريصون تلاميذ مذهب هليل في الأسفل ويقتلونهم) (ي شبت 1: 4).**

لكن الصورة التي عرضتها هذه الدراسة، وكما قدمها الرابانيون، لكل من هليل بوصفه رجلاً مرناً ومتساهلاً، وشمائي بوصفه رجلاً متشددًا وصارماً، نجدها قد تغيرت شيئاً ما عند الحديث عن أتباع كل من المذهبين، فنجد أن هليل الموصوف بالمرونة والتساهل، كان مذهبه متشددًا أحياناً، كما أن شمائي الموصوف بالتشدد والصرامة، كان مذهبه مرناً أحياناً، وإن كان هذا في بعض الأحكام وليس جميعها، ولعل هذا يتضح في المشناة، حيث ورد: **אלו דברים מקלי בית שמאי ומחמרי בית הלל (=هذه بعض الأمور التي تساهل بها مذهب شمائي وتشدد بها مذهب هليل) (عيدوت 4: 1)**، فمن بين ما يزيد على ثلاثمائة خلاف سجلها التلمود وحده لأتباع هذين المذهبين، نجد أن أتباع مذهب شمائي أبدوا المرونة بأكثر من خمسين حكماً، وهي تمثل السدس: Jastrow 1939, vol. 3: (115). وأحياناً نجد أن أتباع مذهب هليل غيروا آراءهم في بعض الأحكام موافقين لأحكام أتباع مذهب شمائي، وإن كان هذا بعد نقاش طويل، فمثلاً نجد في المشناة ما ورد: **אלו דברים שחזרו בית הלל להורות כדברי בית שמאי (= هذه بعض الأمور التي عاد مذهب هليل ليعلمها وفقاً لأقوال مذهب شمائي)، ثم تعرض المشناة القضية، وتخوض بآراء كل من المذهبين، ثم تخلص وتورد الآتي: حזרו בית הלל להורות כדברי בית שמאי (=عاد أتباع مذهب هليل ليعلموا وفقاً لأقوال مذهب شمائي) (عيدوت 1: 12) 63.**

لكن هذا لم يمنع أن يقدم الرابانيون أتباع هليل على أتباع شمائي على أنهم ذوو خبرة أكبر ومعرفة أعظم في الشريعة، حيث ورد سؤال في التلمود: **מפני מה זכו בית הלל לקבוע הלכה כמותן (=لماذا استحق أتباع مذهب هليل أن يستأوا أحكاماً على غرار أتباع مذهب شمائي؟)**، فيجيب الرابانيون: **מפני שנוחין ועלובין היו، ושונים דבריהן ודברי בית שמאי. ולא עוד אלא שמקדימין דברי בית שמאי לדבריהן (=لأنهم كانوا أكثر تواضعاً وفقراً، وتعلموا أحكامهم وأحكام أتباع مذهب شمائي، وليس لهذا فقط، بل إنهم يقدمون أحكام أتباع مذهب شمائي على أحكامهم) (ب عيروفين 13ب).** لكن في المقابل نرى أن وجهات النظر قد تكون متوافقة بين

قد عزل الرابي إلبعيرز بن هوركائوس (=אלעזר בן הורקנוס)، على الرغم من أن زوجته أخت الرابان جملينيل، فالرابي إلبعيرز بن هوركائوس كان أصلاً من أتباع مذهب هليل، ثم اتبع مذهب شمائي على إثر خلاف بينه وبين أتباع مذهب هليل حول طهارة ونجاسة تتور ابن عخائي⁶²، الذي عدّه الرابي إلبعيرز طاهراً منتهجاً نهج أتباع مذهب شمائي، في حين عدّه أتباع مذهب هليل نجساً (ب بابا متصيعا 59ب). وفي هذا الخصوص رأى الرابانيون، خاصة الرابان جملينيل الناسي، أن عزل الرابي إلبعيرز بن هوركائوس ضرورة وطنية (ארתור 1992، חלק ב': 574)، ويصف التلمود مراسم عزله فيقول: **وبعدها صوت الرابانيون بعزله، فسألوا: من يذهب لينبئه هذا؟ فأجاب الرابي عقيياً (=רבי לקיבא): أنا أذهب إليه وأنبئه. لو ذهب شخص آخر وأنبأه لكان يوم دمار الكون. فماذا فعل الرابي عقيياً؟ ارتدى معطفاً أسود، وجلس على مسافة أربعة أذرع منه، فقال الرابي إلبعيرز للرابي عقيياً مستغرباً من لباس الرابي عقيياً: ما الذي حدث في هذا اليوم؟ أجاب الرابي عقيياً: "سيدي يبدو لي أن أصحابك قد عزموا على عزلك"، ولما سمع إلبعيرز حديث عقيياً، مزق إلبعيرز ملابسه، ونزع حذائه، وأبعد الكرسي وجلس على الأرض، بينما كانت الدموع تنهمر من عينيه. ويصف التلمود حال الكون في ذلك اليوم بأنه انقسم إلى ثلاثة أقسام، ثلثه زيتون، وثلثه قمح، وثلثه شعير، وهنالك من يقول: إن العجين كبر في أيدي النساء.**

عَلَمَ تتائي (معلم): لقد وقعت كارثة كبيرة على الكون في ذلك اليوم، حيث أحرقت دموع الرابي إلبعيرز كل مكان نزلت به. ويحكى أيضاً أن الرابان جملينيل كان مسافراً في قارب، وعندما اقتربت موجة عالية لتبتلعه فقال: يبدو أن هذه الموجة جاءت للانتقام من أجل الرابي إلبعيرز بن هوركائوس. وعليه قام وصاح: **רבנו של עולם גלוי וידוע לפניך שלא לכבודי עשייתי ולא לכבוד בית אבא עשייתי אלא לכבודך שלא ירבו מחלוקות בישראל (=سيد الكون، إنك تعلم أنني قد فعلت هذا، ليس من أجل مكسب شخصي لي أو لبيتي، وإنما من أجلك أنت، حتى لا ينقسم بنو إسرائيل)، فهذا البحر.**

إن الخلاف القائم بين هذين المذهبين وصل أحياناً إلى حد الشتم، فمثلاً يرد في التلمود بعد سرد قصة طويلة، وصف أحد أتباع مذهب هليل أحد أتباع مذهب شمائي بآبن الشيطان البكر (=בכור שטן) (ب يياموت 16أ).

ولعل التلمود الفلسطيني يصف الأمر بين أتباع المذهبين بشكل أدق وأوضح، فالتلمود الفلسطيني كان أقرب إلى الحدث وإلى أتباع المذهبين اللذين أسسا في فلسطين، من قرينه التلمود البابلي الذي دُون في بابل، والذي كان أبعد عما يحصل بين

أسباب صور شماي ومذهبه السلبية

إن الخلاف المذهبي الذي نشأ بين هليل وشماي، قد ينشأ بين أية مجموعتين أو أكثر، وكل مجموعة تحاول أن تظهر بصورة مشرقة على حساب نقيضتها. وما وصلنا من أخبار عن شماي وأتباعه، نقله ربايون وحكماء عاشوا عالماً خاصاً بهم، منهمكين بتدوين روايات شفوية تُثَوِّقُ من شخص لآخر ومن جيل لآخر، ولكن إن نظرنا إلى الأمر بعناية من ناحية علمية تحليلية، فإننا نتوصل إلى أن صورة شماي ومذهبه السلبية كانت مُخرجا طبيعياً قُدِّمَ لنا بهذه الصورة، ولعل ذلك يعود لأسباب عدة، منها أن سلسلة حكماء الشريعة الذين عملوا خلال أربعمئة سنة أو أكثر من بعد وفاة هليل قد خرجت من صلبه، ولعل من المناسب هنا أن تذكر هذه الدراسة بعضاً من أسماء الربايين الذين اتبعوا مذهب هليل، والذين تبوؤوا المكانة الدينية والسياسية الرفيعة التي تبوأها هليل نفسه، فبعد أن مات هليل الذي كان رئيساً للسندرين، وهي أعلى مكانة دينية وسياسية عند اليهود في ذلك الزمان، لم تبارح عائلته وأحفاده هذا المنصب، فلما مات هليل تولى ابنه شمعون هذا المنصب (ب شبت 15أ)، ثم تولى الرابان جملئيل بن شمعون (راشي باباً متصيعاً 59ب)، ثم تولى ابنه شمعون (ب موعد قاطان 22ب)، ثم الربان يوحنا بن زكاي (=רבן يוחנן بن זכאי) (شبت 54ب)، والذي لم يكن من أحفاد هليل، إلا أنه كان تلميذه المحبوب (ي نداريم 5: 6)، ونصب لهذا المنصب من قبل القيصر الروماني تيتوس بعد خراب القدس، إذ قال الرابي يوحنا للقيصر: *תן לי יבנה וחכמיה، ושושילתא דרבן גמליאל، ואסוותא דמסיין ליה לרבי צדוק (=اعطني يفة وحكماءها، وسلالة الرابان جملئيل وأطباء للرابي صدوق) (ب جيطين 56ب) فتم نقل المركز اليهودي من القدس إلى يفة. ولعل من الواضح مما قاله الرابان يوحنا إشارة إلى أهمية سلاله الرابان جملئيل حفيد هليل.*

لكن سرعان ما عادت الرئاسة لأحفاد هليل، فكانت للرابان جملئيل من يفة (=רבן גמליאל דיבנה)، وصولاً إلى الرابي يهودا הנاسي مدون المشناة (Köster 1980: 421-422)، وكان هذا المنصب كان يُورث تورثاً من الأب للابن، والدليل على هذا أن الرابي يهودا הנاسي عين ابنه الربان جملئيل بن الرابي (=רבן גמליאל ברבי) (ب كتفوت 103ب) المعروف باسم الرابان جملئيل الثالث الذي عين بدوره أيضاً ابنه الرابي يهودا نسيئاه (=יהודה נשיאה) الذي يعتبر من الجيل الأول من الأمورائيم مدوني التلمود (ספר יוחסין השלם، הקדמה: שרא)، ومن ثم ابنه الربان جملئيل الرابع (=רבן גמליאל הרביעי)، إلى أن وصلت رئاسة السندرين إلى الربان جملئيل

أتباع المذهبين، إن كان مؤسسا هذين المذهبين متفقين على هذا الحكم، إذ ورد في التلمود سؤال حول طهارة اليدين إن لامستا النبيذ: *תלמידי שמאי והלל גזרו؟ (هل اتفق تلاميذ شماي وهليل)، سرعان ما يجيب أحد الربايين: שמאי והלל גזרו! (=في هذا اتفق هليل وشماي) (ب شبت 14ب).*

سلط الربايون الضوء على أتباع مذهب هليل أكثر من أتباع مذهب شماي، فعلى الرغم من كثرة وتعاضم الأحكام المختلف فيها، لم يرد الكثير عن أتباع شماي بخصوص أسمائهم وشخصياتهم غير بعض الأسماء التي نجدها فرادى هنا وهناك، والتي لا يتجاوز عددها أصابع اليدين، فمثلاً نجد في المشناة أسماء مثل: دوستاي (=דוסתאי) (عورلا 2: 5)، ويوزر رجل هبيرا (=יוזר איש הבירה) (عورلا 2: 12) وفي التلمود: بابا بن بوطا (=בבא בן בוטא) (ب جيطين 57أ)، ويوحنا بن هرkins (=יונתן בן הרקנס) (ب يماموت 16أ)، وفي التوسفتا: الرابي صادق (=רבי צדוק)، والرابي يوحنا بن هحورانيت יוחנן בן החורנית (توسفتا عيديوت 2: 2)، بالإضافة إلى الرابي إليعزر بن هوركائوس (=רבי אליעזר בן הורקנוס) الذي كان على مذهب هليل ثم صار إلى مذهب شماي، وربما سار على نهجه تلميذه يوسي بن دورماسكيت (=יוסי בן דורמסקית) (ספר יוחסין השלם، אלף בית אות הי"ד). كما كانت أغليبيتهم تذكر مجهولة الاسم، كما في: מצאו תלמיד אחד מתלמידי בית שמאי (=وجدوا أحد تلاميذ مذهب شماي) (ب بيتصا 20ب).

أما أتباع مذهب هليل، فاختلف الربايون في عددهم، وبما أن هليل كان من أكثر الحكماء تشدداً في العلم والتعلم، فقد ساوى الربايون تلاميذه بموسى عليه الصلاة والسلام وبيوشع بن نون، فقال الربايون: *"إن للشيخ هليل ثمانين تلميذاً، ثلاثون منهم استحقوا أن تنزل عليهم الروح الإلهية، كما حدث لموسى رابيناً، وثلاثون منهم استحقوا أن تقف لأجلهم الشمس، مثل يشوع بن نون، والعشرون الباقون كانوا تلاميذ عاديين. وأكبر الثمانين يوناتان بن عوزيل، وأصغرهم يوحنا بن زكاي" (ب سوكا 28أ)، بينما ضاعف التلمود الفلسطيني العدد بقوله: "إن هليل كان له ثمانون زوجاً من التلاميذ. واتفق مع التلمود البابلي بأكبرهم وأصغرهم" (ي نداريم 39: 2). ولكن في الحقيقة قد يفوق عدد تلاميذ هليل هذا الرقم بكثير، إذ إن للرابي عقيباً وحده، وهو من أتباع مذهب هليل (Wylen 2005: 56)، أربعة وعشرين ألف تلميذ (ب يماموت 62ب)، وإن عدنا إلى أتباع مذهب هليل نجد أنهم من أشهر الربايين الذين رروا وعلموا أحكام التوراة، مما يجعل الدارس يشك بحقيقة الصورة التي وردت عن شماي وأتباعه.*

السادس (=רבן גמליאל השישי) عام 415م تقريباً، وتوقف هذا المنصب منذ ذلك الحين إلى ما قبل تأسيس الدولة العبرية في فلسطين.

على الرغم من أن العديد من الرابانيين قد حاولوا انتزاع هذه السلطة من أحفاد هليل، فإن ذلك كان بلا جدوى، إذ يروى في إحدى الروايات التلمودية، أن الرابان جمليل من يفة (=רבן גמליאל דיבנה) قد قلل من شأن الرابي يوشع بن حنانيا (=יהושע בן חנניה)، مما جعل الرابي يوشع يحرض العامة ضده، فتمت تنحيته من منصب الرئاسة، ونصب بدلاً منه إلغاز بن عزريا (=אלעזר בן עזריה)، الذي كان من عائلة كهنة يعود نسبها إلى عزرا، بالإضافة إلى غناه الفاحش، الذي زكاه لهذا المنصب. وتسبب يوشع بن حنانيا في عزل الرابان جمليل من يفة (=רבן גמליאל דיבנה) من منصب الرئاسة، بعد أن أهان الرابان مكانته، فبدأ بتحريض العامة ضده، وبعدما سامحه الرابان جمليل أعاد له منصب الكهانة، وأهم ما يميز فترة رئاسته هو قصرها، وذلك لأن الرابان شمعون بن جمليل قام بالاعتذار للرابي يوشع، فاجتهد الرابي إلغاز بنفسه لإعادة تاج الرئاسة إلى الرابان شمعون بن جمليل. ووفقاً للتلمود البابلي (ب براخوت 27ب و 28أ)، فإن الأمر قد بدأ تدريجياً، فكان يتولى الرابان شمعون بن جمليل الرئاسة ثلاثة أسابيع، على سبيل المثال، ثم يتولى الرابي إلغاز لأسبوع واحد، ووفقاً للتلمود الفلسطيني (ي براخوت 7: 4)، فإن تاج الرئاسة عاد كاملاً إلى الرابان شمعون بن جمليل، بينما عين الرابي إلغاز كرأس لمحكمة السنهدين.

لم تكن هذه المحاولة هي المحاولة اليتيمة من قبل الرابانيين للاستيلاء على منصب الرئاسة والتخلص من احتكار أحفاد هليل لهذا المنصب، فبعد تلك الحادثة، في زمن رئاسة الرابان شمعون يروي التلمود أن الرابي ناتان بمساعدة الرابي مائير (=רבى מאיר)، قد حاول أن يتأمر على منصب الرئاسة وعزل الرابان شمعون من منصبه وتنصيب نفسه مكانه، لكنه لم ينجح في خطته هذه، وعاقبه الرابان شمعون، بأن لا يذكر اسمه في الدروس وذلك عن طريق ذكر آرائه بكلمات مثل יש אומרים (=هناك من يقول)، فحاول الرابي ناتان أن يهدئ الأمور، ويعيدها إلى طبيعتها مع الرابان شمعون بن جمليل الثاني، على عكس الرابي مائير، الذي أعيد إلى منصبه رأساً لمحكمة السنهدين وألغيت العقوبات بحقه، وأعيد ذكر اسمه وآرائه في الدروس التي ذكرت في المشناة الخارجية (=בריייתות).

وفي إحدى الروايات في زمن ابنه الرابي يهودا הנاسي يروي التلمود أن الرابي إلغاز بن الرابي شمعون (=אלעזר בן רבי שמעון) كان أحق بمنصب الرئاسة من الرابي يهودا

الناسي ابن الرابان شمعون الثاني، ويبدو مما قاله الرابان شمعون لابنه تحايل على هذا المنصب واحتكاره له لمصلحة ابنه، إذ قال لابنه: בני، אל ירע שהוא ארי בן ארי، ואתה ארי בן שועל (=يا بني، لا تخف إن هو أسد ابن أسد، فأنت أسد ابن ثعلب) (ب بابا متصيعا 84أ وي شبت 10: 5).

تذكر المصادر أن عائلة هليل قد اعتلت سدة الحكم منذ هليل حتى الرابان جمليل الرابع، ومنذ زمن هليل إلى زمن جمليل الرابع مرّ ثلاثة عشر جيلاً⁶⁴، وردت أسماؤهم في كتاب يعرف باسم كتاب יוחסין (=كتاب الأنساب)⁶⁵. ولا يخفي التلمود هذا، إذ ورد فيه بعد سرد خلاف على سلطة الأحكام بين حكماء بابل وحكماء فلسطين وأيها ملزم لليهودي، إذ جاء في تفسير الفقرة التوراتية: لا يزول قضيب من يهودا ومشتري من بين رجليه (التكوين 49: 10)، المقصود منها هو: אלו בני בניו של הלל، שמלמדין תורה ברכים (=هؤلاء هم أحفاد هليل الذين علّموا التوراة للعامة) (ب سنهدين 15).

ومن الأسباب الأخرى لصورة مذهب شمائي السلبية أن راباني التلمود البابلي كانوا يروون أكثر عن حكماء بابل أبناء جلدتهم، ومنهم هليل، لكن في المقابل كانوا أكثر حذراً من رواية أخبار حكماء فلسطين، ومنهم شمائي كما يذكر Bacher (1939: 398)، لذلك فإن أغلب ما ورد عن هليل من مدح، كان جله من راباني التلمود البابلي، ولعل خير دليل الأمثلة الكثيرة التي استعانت بها هذه الدراسة من التلمود البابلي، والتي ليس لها نظير في التلمود الفلسطيني.

ولاحظت هذه الدراسة أن جل هذه الأخبار التي وردت في ذم شمائي ومذهبه جاءت من ربابيين مجهولين، مثل: אמר ללוי לל שמאי (=قالوا عن شمائي) (يوما 77ب)، ومثل: תנו רבנן (=علم ربابونا) (ب شبت 131)، وأغلبها وردت في التلمود البابلي. وليس بالغريب إذا أن يصف الرابي يوشع أونيا أتباع مذهب شمائي بالقتلة (ي شبت 1: 4)، وذكر هذا الرابي في التلمود الفلسطيني فقط، ولا ذكر له في البابلي. وتجدر الإشارة هنا أن معظم رواياته وردت في البرييتا (=בריייתא)⁶⁶ (מרדכי 1910: 620)، وربما كان من تلاميذ هليل وأتباعه. وليس بغريب أيضاً أن يبدأ الربابيون في كتاباتهم في أغلب الأحيان بذكر هليل أولاً ثم شمائي، إلا إذا وصف شمائي بالمتعصب، فإنه يذكر أولاً. ولعل هذا نوع من أنواع التوكيد على تعصب شمائي ومرونة هليل.

الخلاصة:

إن الخلاف المذهبي الذي نشأ في فترة الأزواج بدأ قبل هليل وشمائي، وإن لم تذكر المصادر إلا الخلاف الوحيد بقضية إسناد اليمين، لكن هناك خلافات أخرى نشأت وأخذت تتعاظم

المشناة جيلا عن جيل من بعد هليل وشماي، كانت من أتباع مذهب هليل، أمثال الريان يوحنا بن زكاي (ب سوكا 28)، وتلاميذه (آفوت 2: 8). زد على هذا منصب رئاسة السنهدين، الذي كان في عقب هليل، فليس غريبا أن يصور الريانيون هليل بالمرن المتساهل، وشماي نقيضه بالمتعصب الصارم عابس الوجه. وفي الحديث عن شماي بأنه كان أكثر تزمًا من أتباع مذهب هليل وحتى أكثر من طلابه الذين تلقوا منه، لاحظت هذه الدراسة أن آراءه المتشددة في هذه الأحكام وردت في مبحث واحد وهو عيديوت (انظر: عيديوت 1: 7-8 و 10-11)، وكانت جميعها تُعرض بعد ذكر جميع آراء أتباع مذهب هليل، وتضاف في آخر الفقرة، لإظهاره بصورة رجل تعصب أكثر من أتباعه، لذلك تعتقد الدراسة أن الصورة النمطية التي قدمها الريانيون عن شماي ما هي إلا صورة مصطنعة غير حقيقية.

أكثر في فترة كل من هليل وشماي، ولعل هذه الخلافات لا تكون طائفية، بل ربما دينية، متعلقة في تفسير الشريعة وأحكامها، وفي الحقيقة فإن هذه الصورة التي عرضت لكل من وهليل وشماي، بأن الأول ذو مرونة وتساهل، والآخر ذو تعصب وصرامة، خاصة مع من أراد أن يتهود، تناقض ما قاله شماي في المشناة: اجعل علمك لتوراتك هدفا، قل القليل وافعل الكثير، واستقبل الناس بوجه بشوش (آفوت 1: 14). وسرعان ما تغيرت تلك الصورة في آداب الريانيين الأخرى من البشاشة إلى ضيق صدر ورمي الأغيار بما كان في يده من أدوات بناء.

غير أن هليل الذي وصف بتسامحه ومرونته، نجد أنه قد كان أكثر تعصبا من شماي في القضايا الأربعة المذكورة في المشناة، لكن الروايات التي وصلتنا عنه، كان ينقلها تلاميذ هليل الذين حلوا مكانه، إذ إن سلسلة الأسماء التي حملت

المصادر والمراجع

- translated by George Weidenfeld and Nicolson Ltd., Harvard University Press 1976.
- Bet Hillel and Bet Shammai, in The Jewish encyclopedia: a descriptive record of the history, religion, literature, and customs of the Jewish people from the earliest times to the present day, N.Y - London, Singer, Isidore, 1859-1939.
- Buxbaum, Y. The Life and Teachings of Hillel, Rowman & Littlefield Publishers Inc., Maryland 2008.
- Dihle, A., Die Goldene Regel. Eine Einführung in die Geschichte der antiken und frühchristlichen Vulgärethik, Göttingen 1962, Studienhefte zur Altertumswissenschaft, Heft 7.
- Falcon, Ted, and Blatner, David, Judaism for Dummies, John Wiley & Sons, NJ 2013.
- Fürst, Julius, Kultur- und Literaturgeschichte der Juden in Asien, W. Engelmann, Leipzig 1849.
- Gersh, Harry, Mishnah: The Oral Law, Behrman House, Inc, NJ 1984.
- Goldenberg, Robert, "Hillel/Hillelschule", in TRE: Theologische Realenzyklopädie, vol. 15, Heinrich II. - Ibsen, Walter de Gruyter, Berlin 1986.
- Heinrich Graetz, Geschichte der Juden von den ältesten Zeiten bis auf die Gegenwart, Leipzig 1870, Vol. 3/1.
- Jastrow, Marcus, A dictionary of the Targumim: the Talmud Babli and Yerushalmi and the Midrashic literature, with an Index of scriptural Quotations, London: Luzac, New York: G.P.Putnam'ssons, 1903.
- Köster, H., Einführung in das Neue Testament: im Rahmen der Religionsgeschichte und Kulturgeschichte der hellenistischen und römischen Zeit, Walter de Gruyter, Berlin - NY 1980.
- المسيحي، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة 1998.
- ارتور، هـ.، ربي אליעזר בן הורקנוס، באנציקלופדיה העברית، כללית، יהודית וארצישראלית، חברה להוצאת אנציקלופדיות، הערכת יהושע פראוור، חלק ב'، ירושלים 1992، עמ' 574.
- היימאן، א.، תולדות תנאים ואמוראים، לונדון، תר"ע.
- ואלך، י.، הלל הזקן، באנציקלופדיה העברית، כללית، יהודית וארצישראלית، חברה להוצאת אנציקלופדיות، הערכת יהושע פראוור، ירושלים 1992.
- וייס، משה، מבוא לתורה שבעל-פה، יחידות 1-2، יחידת 1، תל אביב 1991.
- זוין، שלמה יוסף، סנהדרין וירושלים، בירושלים: עיר הקודש והמקדש، יעקב גליס، משה הים כתזנלנבוגן، מוסד הרב קוק، ירושלים 1977.
- זכות، אברהם בן שמואל، ספר יוחסין השלם، לונדון ועדינבורג 1857.
- מברטנורא، עובדיה، משניות עם פירוש הגאון רבינו עובדיה מברטנורא ועיקר תוספות יום טוב، ניו יורק-ברלין תרפ"ד.
- מרדכי، א.، ספר תולדות תנאים ואמוראים، מסודר ע"פ א"ב עם באורים והגהות וגרסאות שונות، לונדון، העקספרעסס 1910.
- קארו، ר' יוסף، שולחן ערוך، יורה דעה، ווארשא תרל"ה، סימן רא-רב، שנברגר، אדריכל יוסף، מקוואות، ירושלים ה'תשל"ד.
- רמב"ם، משנה עם פירוש הרמב"ם، ירושלים 2008.
- רמב"ם، משנה תורה، ספר המדע، הלכות תלמוד תורה، ירושלים תשי"ז.
- שפר، שאול، חוקי הקורבנות: עיקרי דני עבודות הקורבנות וסדר הקרבנות، יפה-נוף 1967.
- Bacher, W., "Hillel", in The Jewish encyclopedia: a descriptive record of the history, religion, literature, and customs of the Jewish people from the earliest times to the present day, N.Y - London, Singer, Isidore, 1859-1939, vol. 6.
- Ben-Sasson, Haim Hillel, A History of the Jewish People,

- Moses: Translation, Rabbinic and Contemporary Commentary, KTAV Publishing House, Inc., NJ 2008.
- Segal, M. H., A Grammar of Mishnaic Hebrew, Oxford 1980.
- Siegfried Bergler, "Von Hillel zu Jesus. Jüdische und christliche Hillel Bilder", in: Grenzgänge: Menschen und Schicksale Zwischen Jüdischer, Christlicher und Deutscher Identität: Festschrift Für Diethard Aschoff, edit. Folker Siegert, Diethard Aschoff, Münster 2002.
- Volz, P., Die Eschatologie der Juedischen Gemeinde im Neutestamentlichen Zeitalter: Des Werkes: "Juedische Eschatologie von Daniel bis Akiba", Georg Olms Verlag, 2003.
- Wylen, M., Stephen, The Seventy Faces of Torah: The Jewish Way of Reading the Sacred Scriptures, Paulist Press, NJ 2005.
- Lauterbach, Z. Jacob, "Shammai", in The Jewish encyclopedia: a descriptive record of the history, religion, literature, and customs of the Jewish people from the earliest times to the present day, N.Y - London, Singer, Isidore, 1859-1939, vol. 11.
- Mazansky, Cyril, the Sages of Our Tradition: Interpreters of the Tanakh and Talmud, Mazo Publishers, Florida 2013.
- Milman, Henry Hart, the History of the Jews, from the Earliest Period to the Present Time, Harper & Brothers., NY 1843.
- Reichman, Ronen, Abduktives Denken und talmudische Argumentation: eine rechtstheoretische Annäherung an eine zentrale Interpretationsfigur im babylonischen Talmud, Mohr Siebeck, Tübingen 2006.
- Robinson, G., Essential Judaism: A Complete Guide to Beliefs, Customs & Rituals, Simon and Schuster, 2008.
- Scharfstein, S., Torah and Commentary: The Five Books of

The Image of Hillel and Shammai in the Talmudic Literature between Extremism and Tolerance

*Mohammad O. Al-Qura'a**

ABSTRACT

Every Talmudic chapter of literature mentions the names of Hillel and Shammai as some of the most prominent names of people, who lived in the pre-destruction period, which called destruction of the Second Temple in 70 CE. These two figures established the first two religions doctrine for the Pharisees sect. The first one was described by rabbis as tolerant, while the second as extremist. The present study tackles the real reasons of such descriptions by analyzing the personalities and approaches of these two figures in light of the literature available to us and relevant to that period.

Keywords: Hillel, Shammai, Hillel's school, Shammai's school and Pharisees.

* Yarmouk University, Jordan. Received on 02/03/2016 and Accepted for Publication on 02/08/2016.